الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة
كلية أصول الدين والحضارة الإسلامية
قسم الدعوة والإعلام والاتصال

رقم الرسالة:.....

ضوابط النقد الذاتي في الإسلام

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام – شعبة الدعوة

إعداد الطالبة:
سهام بوزيدي

إشراف الدكتور:
محمد زرمان

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	مقر العمل	الصفة
د. مولود سعادة	أستاذ محاضر	كلية أصول الدين والحضارة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	رئيسا
د. محمد زرمان	أستاذ محاضر	كلية الآداب جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
د. سعيد عليوان	أستاذ محاضر	كلية أصول الدين والحضارة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا مناقشا
د. أبو بكر عواطي	أستاذ مكلف بالدروس	كلية أصول الدين والحضارة جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا مناقشا

السنة الدراسية
2002 / 2003م

ضوابط النقد الذاتي في الإسلام

جامعة الأزهر عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تشكر وتقدير

الشكر أولا لله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، فهو الهادي والموفق.

ثم الشكر للأستاذ المشرف ،الدكتور: محمد زرمان الذي تحمل مسؤولية الإشراف والمتابعة لهذا البحث حتى بلغ نهايته ،رغم اهتماماته الكثيرة.

ثم الشكر الجزيل لزوجي الكريم الأستاذ أحمد بروال الذي كان لي السند والمعين في إنجاز هذه الرسالة، بما قدمه لي من نصائح وتوجيهات، وبتوليه كتابة شطر كبير من الرسالة على الحاسوب، وقام بطبعها وإخراجها في صورتها النهائية، رغم كثرة انشغالاته و قلة وقته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى والدي الكريمين الذين بذلا مهجتهما، واجتهدا كثيرا في تربيتنا وتعليمنا، وأملا كثيرا في رؤية ثمار جهدهما يتجسد في مشاريع علمية وعملية.

ثم إلى زوجي الفاضل الذي يسر لي سبل البحث، وكان لي أكبر سند وأعظم معين بعد الله تعالى.

إلى قرة عيني ونور حياتي، إلى زينة هذه الحياة الدنيا ابنيا همام وسندس

إلى إخواني وأخواتي، فيروز، فوزية، خالد، عماد الدين، عبد الفتاح، عبد النور

إلى أمي الثانية الطاوس ومن ورائها إلى كل أفراد عائلتي الثانية وكل إخواني وأخواتي.

إلى زمرة القلب الواحد.

إلى أمهات وأخوات مسجد سيدي قاسم.

أهدي هذا الجهد المتواضع.

مقدمة البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

أولا : إشكالية البحث وأهميته

إن لوقوع الأحداث أسبابا ومقدمات، والمتتبع لمسلك الأحداث العامة والخاصة يلحظ أن للعوامل الداخلية الدور الحاسم في وقوعها، ذلك أنها منبع كل تغيير ومصدر كل عمل وحدث، سواء على مستوى المادة أو النفس أو المجتمع والأمة.

فالجسم يصاب بالمرض ليس بسبب وجود الجرثوم لأن وجوده قائم، ولكن بسبب ضعف المناعة الداخلية للجسم، الذي أصبح عاجزا عن مقاومة الجرثوم.

والشيطان ليس له سلطان على الإنسان إلا إذا تهيأت النفس لتقبل وسوسته وإغوائه.

والاستعمار لا يحصل إلا بسبب القابلية للاستعمار، والاستضعاف لا يحدث إلا بسبب الضعف الداخلي.

والالتفات إلى العوامل الداخلية ومدى تأثيرها في وقوع الأحداث والتغيرات المختلفة، مبدأ نبهنا الوحي المعصوم إليه وصوّب أنظارنا اتجاهه حين ألح في كثير من النصوص على أن سبب كل مشكلة ومرد كل مصيبة تقع في حياة الإنسان أو في واقع المجتمع والأمة، هو ما يحدث بالذات الداخلية للفرد والجماعة، أو الأنفس بالتعبير القرآني، قال الله تعالى:" أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(آل عمران:165)

وعندما سئل النبي ﷺ عن سبب تكالب أمم الأعداء على أمة الإسلام، عزا سبب ذلك إلى غثائية المسلمين، ووهن إرادتهم، فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ

تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ" رواه أبو داود.

كما أن التغيير مهما كان نوعه ومستواه فإنه ينطلق من الداخل وليس من الخارج، كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" (الرعد:11) فالمجتمع لا يتغير حاله من وضع إلى وضع إلا إذا غير ما بداخله وهو نفوس وأحوال أفراده، وهذه سنة لا تتبدل ولا تتحول.

ومن هنا كان لزاما علينا كمسلمين أن نعطي أولوية الاهتمام للعوامل الداخلية عند إرادة إحداث أي تغيير، وأثناء كل مراجعة وتقويم، وأن نعود إلى ذواتنا عند كل مصيبة حلت بنا.

لكن وبتأملنا الواقع التاريخي للحركة التغييرية الحديثة في الأمة الإسلامية، نجد أن المسلمين قد ركزوا اهتمامهم على العوامل الخارجية وحذفوا أنفسهم من تكوين المشكلة، فهم في كل مرة يعمدون لتبرير قصورهم وانحسارهم وانهزامهم إلى البحث عن كباش فداء في صور مختلفة، فهي مرة الاستعمار ومرة اليهود وأخرى الشيطان...

وهذا ما جعل العملية التغييرية غير مثمرة وقاصرة عن تحقيق أهدافها، لأنها لم تجعل الذات منطلقا لها، وأهملت مسئوليتها عند كل مراجعة أو تقويم.

إن الرجوع إلى ما بالنفس والعودة إلى الذات وتحميلها مسؤولية الإفراط والتفريط، وحذفها باستمرار لمطابقة سنن الله هو قوام المنهج السليم، وضمان العمل الصالح وعمدة التغيير الرشيد، وصمام الأمان من مخاطر الانحراف والانزلاق، من هنا كان موضوع النقد الذاتي جديرا بالاهتمام والتأليف والبحث.

إن النقد الذاتي والذي هو محور بحثنا هو لوم النفس والبحث في أعماقها عن مواطن الخلل والقصور، وأسباب القابلية لكل أنواع التخلف والذل والاستضعاف، وهو التوبة بعد المحاسبة، وتصحيح الخطأ بعد اكتشافه، وترشيد المسار بعد انحرافه.

تكمن أهمية النقد الذاتي في أنه عامل تطهير جوهري مستمر للنفس والمجتمع من مختلف أنواع الضعف والاختلال، كما أن غيابه يساهم في تكريس الأخطاء وإشاعة الغموض في العلاقة بين المقدمات والنتائج، وإعاقة حركة التقدم والتطور وتجمد الأفكار والطاقات.

ثانيا: تعريف بالموضوع:

إن موضوع هذه الدراسة يمكن أن نحدد ماهيته كما يلي:

- الموضوع هو دراسة نظرية لفكرة النقد الذاتي في الفكر الإسلامي، أي أنه لا يتناول نقد واقع ومناهج حركات تغييرية معينة، إلا ما ورد على سبيل المثال.

- الموضوع هو محاولة تأصيلية لفكرة النقد الذاتي، ليتبين أن النقد الذاتي ليس فكرة غربية على الفكر الإسلامي، بل هو مبدأ أصيل في منهج التغيير الإسلامي.

- الدراسة تبين بالتحليل مبررات ممارسة النقد الذاتي، وتؤكد على أهميته البالغة.

- الدراسة في فصلها الأخير هي محاولة لتحديد بعض معالم المنهج السليم للنقد الذاتي.

ثالثا: دوافع اختيار هذا البحث:

للبحث في موضوع النقد الذاتي دوافع أساسية يمكن أن نجملها فيمايلي:

الدافع الأول: هو ما لاحظته -من خلال متابعتي البسيطة لسلوك المهتمين بقضايا الدعوة والتغيير ومواقفهم-من قلة اهتمامهم بالنقد الذاتي تنظيرا وممارسة، وعدم اكتراثهم بدوره في تصويب الأعمال وتصحيح المسار.

الدافع الثاني: الأهمية العملية لهذا الموضوع في السلوك عامة وفي العمل الدعوي والتغييري خاصة، لذا أردت أن أضع بين يدي الباحثين والمهتمين دراسة نظرية موثقة حول موضوع النقد الذاتي، وإبراز موقعه ودوره وأهميته في العملية التغييرية.

الدافع الثالث: هذا البحث هو استجابة لتوجيهات العديد من قيادات الفكر الإسلامي المعاصر، ونداءاتهم المستمرة بضرورة الانخراط في دراسة مثل هذه المواضيع وتحرير مسائلها.

رابعا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى جملة من الأهداف العامة منها ما يلي:

1- إبراز أهمية العوامل الداخلية في الأحداث عامة وفي التغيير الاجتماعي خاصة.

2-محاولة استجلاء موضوع النقد الذاتي، وإعطاء صورة واضحة عن الموضوع.

3- تأصيل موضوع النقد الذاتي بمختلف المؤيدات النصية والواقعية والعقلية.

4- إبراز دور النقد الذاتي وأهميته في تقويم الأعمال وتصويب الجهود، وفي العملية التغييرية عموما.

5-محاولة تحديد معايير وضوابط عملية وأخلاقية لممارسة النقد الذاتي

6- محاولة تصميم أرضية لبناء منهج سليم في ممارسة النقد الذاتي.

خامسا: منهج البحث:

أولا: فيما يخص منهج الدراسة فقد اعتمدت منهجا مركبا من الاستقراء والاستنباط والتحليل ، الاستقراء والاستنباط عند البحث عن مؤيدات النقد الذاتي ومعايير ممارسته وضوابطه الشرعية والموضوعية.

أما التحليل فقد اعتمدته في قراءة بعض الظواهر الطبيعية والبيولوجية، وبعض الوقائع التاريخية، وكذلك عند تحليل النصوص المختلفة التي تدل على اعتبار النقد الذاتي.

ثانيا: أما فيما يخص منهجية عرض المادة العلمية فقد اتبعت الخطوات التالية:

1- فيما يخص التهميش فقد اعتمدت كتابة اسم صاحب الكتاب أولا متبوعا بعنوان الكتاب ثم بقية البيانات. أما الآيات ونظرا لكثافتها في بعض المباحث فقد فضلت أن أكتب اسم السورة ورقم الآيات بجوار نص الآيات في المتن، أما الأحاديث فقمت بتخريجها وذكر درجتها من مصادرها الأصلية.

2- أما الفهارس، فقد خصصت فهرسا للآيات القرآنية، مرتبا حسب ترتيب السور والآيات في المصحف الشريف، وفهرسا للأحاديث النبوية مرتبا ترتيبا ألفبائيا، وفهرسا للمصادر والمراجع مرتبا أيضا ترتيبا هجائيا حسب الأسماء المشهورة لأصحابها، وفي الأخير خصصت فهرسا للموضوعات وفق ترتيبها في صفحات البحث.

سادسا: خطة الدراسة:

قسمت الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة لتناغم هذا التقسيم مع مادة البحث وهي موزعة كما يلي:

أما المقدمة : فقد ضمنتها إشكالية البحث، وتعريف مبسط له، وكذا دوافع اختياري لهذا الموضوع والأهداف التي توخيتها منه، وكذلك منهجية تناول الموضوع ودراسته.

أما الفصل التمهيدي:فهو بعنوان:"**التغيير الإسلامي والنقد الذاتي: المفاهيم والمحددات**" وهو يهدف إلى توضيح المعاني الأساسية للبحث ويتضمن بعض المداخل الأساسية للموضوع كتعاريف التغيير الإسلامي والنقد الذاتي سواء في اللغة أو الاصطلاح، وكذا تحديد التعريف الاصطلاحي المختار لكل منهما، والمستعمل في البحث.

أما الفصل الأول :والذي هو بعنوان:"**جذرية التغيير الإسلامي وأهمية النقد الذاتي**" فقد خصصته لإبراز خاصية هامة من خصائص التغيير الإسلامي والتي لها علاقة مباشرة بموضوع البحث، ألا وهي خاصية الجذرية، الشيء الذي يقودنا إلى الحديث عن العوامل الداخلية ودورها في التغيير، حيث تعتبر حجر الزاوية في كل تغيير وفي التغيير الاجتماعي على الخصوص، لنصل إلى الحديث عن النقد الذاتي كثمرة للاهتمام بالدور الحاسم للعوامل الداخلية في التغيير، ولنبين بعد ذلك الدواعي الموضوعية والشرعية للنقد الذاتي، وكذلك أهميته ومضاعفات غيابه.

أما الفصل الثاني: فهو بعنوان:"**مؤيدات النقد الذاتي**" وتناولت فيه المؤيدات التي تبين أصالة فكرة النقد الذاتي وشرعيتها وجدواها،فاستفدت من منهج تنزل القرآن الكريم ،ومن نصوص الوحي الشريف التي تدعو إلى اعتبار العوامل الداخلية أو تدعو إلى المراجعة والنقد، كما استفدت من سيرة الأنبياء عليهم السلام وسيرة الرسولﷺ على الخصوص،ثم أردفتها بمؤيدات من سيرة وأقوال بعض الصحابة ﷺ التي تبرز فيها فكرة النقد الذاتي ،وختمت فصل المؤيدات ببعض ما أنتجه الفكر الإسلامي من نظريات في التربية والدعوة والتغيير.

أما الفصل الثالث:فهو بعنوان:"**معايير النقد الذاتي وضوابطه**"، وقد ضمنت هذا الفصل الثالث والأخير بعض المعايير والمقاييس التي تستند إليها عملية النقد الذاتي عند تقييم

الأعمال سواء كانت فردية أم جماعية. كما ضمنته أيضا بعض الآداب التي تهيئ النفس لممارسة النقد الذاتي وقبوله من الآخر وتقبل نتائجه، كما تناولت فيه بعض الضوابط التي تضبط عملية النقد الذاتي حتى لا تخرج عن مقاصدها وأهدافها، سواء في السلوك الفردي أو الجماعي.

سابعا: الخاتمة

أما الخاتمة فقد ضمنتها النتائج العامة لهذا البحث والآفاق التي أرجوها له في المستقبل.

ثامنا: الصعوبات:

أما الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة فيمكن أن أجملها فيما يلي:

- ندرة المراجع.
- صعوبة التنقل إلى المكتبات.
- كما واجهتني في البداية صعوبة الحسم في اختيار المنهج الذي أتناول به الدراسة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي:

التغيير الإسلامي والنقد الذاتي: المفاهيم والمحددات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي:

التغيير الإسلامي والنقد الذاتي: المفاهيم والمحددات

المبحث الأول: مفهوم التغيير الإسلامي ومحدداته

المطلب الأول: التغيير في اللغة

المطلب الثاني: التغيير في الاصطلاح

المبحث الثاني: مفهوم النقد الذاتي

المطلب الأول: النقد في اللغة

المطلب الثاني: النقد في الاصطلاح

المبحث الثالث: محددات النقد الذاتي

المطلب الأول: موضوع النقد الذاتي

المطلب الثاني: مستويات النقد الذاتي

المطلب الثالث: جوانب النقد الذاتي

المطلب الرابع: واقع النقد الذاتي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي :

التغيير الإسلامي والنقد الذاتي: المفاهيم والمحددات

أريد أن أتناول في هذا الفصل التمهيدي بعض المداخل الضرورية لهذا البحث، كمفهوم التغيير الإسلامي، ومفهوم النقد الذاتي في اللغة والاصطلاح ، وكذا محدداهما النظرية والواقعية.

وقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث أساسية هي:

1 - مفهوم التغيير الإسلامي ومحدداته.

2- مفهوم النقد الذاتي.

3- محددات النقد الذاتي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :
مفهوم التغيير الإسلامي ومحدداته

حتى يتبين المفهوم السليم لمصطلح التغيير الإسلامي، يجب علينا أن نتدرج عبر خطوات ثلاث لا بد منها، انطلاقا من التعاريف اللغوية لمصطلح التغيير، مرورا ببعض التعاريف الاصطلاحية له، وانتهاء إلى بعض التعاريف الاصطلاحية للمصطلح المركب " التغيير الإسلامي " ، مع تحديد التعريف المختار.

المطلب الأول : التغيير في اللغة

لمصطلح التغيير صنفان من المعاني اللغوية ،هما المعاني الأصلية، والمعاني الفرعية المتفرعة عن المعاني الأصلية.

يقول ابن فارس في المعاني الأصلية لكلمة التغيير:"الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين "[1]

أما المعاني التفصيلية لمصطلح التغيير والمتفرعة عن هذين المعنيين فهي :

1-**التبديل** : قال ابن منظور:"غيّره أي بدّله"[2] ،وقال الكفوي في كلياته :"التغيير عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى مثل تغيير الأحمر إلى الأبيض، والتغيير إما في ذات الشيء أو جزئه أو الخارج عنه" [3] . وقال صاحب تفسير الجلالين في شرح قوله تعالى : " ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأنفال:53) ،أي لم يكن "مبدلا لها(النعمة) بالنقمة حتى يبدلوا نعمتهم

1-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل،بيروت،ط :1، 1411هـ/1991م، 403/4

2-ابن منظور: لسان العرب، دار الجيل بيروت، 1035/4.

3-الكفوي: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)،مؤسسة الرسالة ،ط:2، 1413هـ/1993م، ص:294.

كفرا"[4].

2-**التحويـــل**:قال الفيروزآبادي:"تغير عن حاله أي تحول"[5] .وذكر ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"(الرعد: 11) أنه أوصى الله تعالى إلى نَبِي من بني إسرائيل، أن قُل لقومك أنه ليس من أهل قرية ولا من أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله إلا حول الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون"[6]

3-**الإصلاح** : أي الانتقال من حالة إلى حالة أحسن ،قال صاحب مقاييس اللغة أن **التغيير**:" يدل غير على صلاح وإصلاح ومنفعة ...فيقال غارهم الله تعالى بالغيث أي أصلح من شأنهم ونفعهم"[7] ويقال غير فلان عن بعيره أي حط عنه رحله وأصلح من شأنه"[8]

4- **المخالفة**: جاء في لسان العرب :" تغايرت الأشياء أي اختلفت"[9] وجاء في المعجم العربي الأساس:"غاير أي خالف،ومغاير أي مخالف"[10]

ويفرق الراغب الأصفهاني بين الاختلاف والتغاير فيقول:"والفرق بين غيرين ومختلفين،أن الغيرين أعم ،فإن الغيرين قد يكونان متفقين في الجوهر بخلاف المختلفين. فالجوهران المتحيزان هما غيران وليسا مختلفين، فكل خلافين غيران وليس كل غيرين خلافين"[11]

5- **جعل الشيء على غير ما كان عليه**:قال صاحب اللسان:"غيره أي جعله غير ما

4- تفسيرالجلالين(هامش المصحف الشريف)،دار المعرفة،بيروت،1418هـ/1997م،ص:236.

5- الفيروزآبادي :القاموس المحيط،دار العلم للجميع،بيروت،106/2.

6- مختصر تفسير ابن كثير،اختصار وتحقيق:محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم ،بيروت،ط:7 ،1402هـ/1981م، 273/3-274.

7- ابن فارس:معجم مقاييس اللغة، 403/4-404.

8- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط،دار الدعوة ،استنبول، 1409هـ/1989م، ص:668.

9-ابن منظور: لسان العرب،1035/4.

10-المعجم العربي الأساس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،ص:908.

11-الراغب الأصفهاني:معجم مفردات القرآن، تحقيق :نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي،ص:382.

كان عليه" [12] وجاء في المعجم العربي الأساس : " تغير أي أصبح على غير ما كان عليه"[13]

6- **إحلال محل:** فيقال غير ذات الشيء أو صفته إذا أحل محلها ذاتا أو صفة أخرى،جاء في المعجم العربي الأساس:"التغيرّ هو تحول صفة أو أكثر من صفات الشيء،أو حلول صفة محل أخرى"[14]

7- **الحذف والإزالة:**فيقال غير الشيء إذا أزاله وحذفه ،وقال الزحيلي في تفسير قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"(الرعد: ١١)أي إن الله لايغير ما بقوم من نعمة وعافية فيزيلها عنهم وينتقم منهم إلا بتغيير ما بأنفسهم" "[15]

وفي الحديث قال رَسُولَ اللَّه ﷺ: "**مَنْ رَأَى مِنْكمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** "[16]ومعنى يغيره في هذا الحديث هو الحذف والإزالة.

فكل هذه المعاني محتملة لمصطلح التغيير ،و إنما يفهم كل واحد منها بحسب سياق الكلام وصيغ التعبير .

12-ابن منظور:المرجع السابق.

13-المعجم العربي الأساس، ص:909.

14-المرجع السابق.

15-وهبة الزحيلي:التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر ،بيروت ودمشق، ط:١ ،1411هـ/1991م، 124/13.

16-صحيح مسلم،كتاب: الإيمان،باب:كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم:70.

المطلب الثاني : التغيير في الاصطلاح

ونتناول هذا المطلب في عنصرين هما: معاني التغيير مجردا عن أي وصف ،ثم معاني التغيير الإسلامي.

أولا: معاني التغيير في الاصطلاح العام

أما بخصوص المفهوم الاصطلاحي للتغيير، والذي تناوله العلماء بالبحث على مختلف تخصصاتهم، سواء كانوا علماء اجتماع أو نفس أو إدارة أو تربية أو إعلام أو غيرهم، فإنه لا يوجد مفهوم واحد متفق عليه من قبل الجميع، بل كل تخصص له محدداته لتعريف التغيير،ويمكن أن نذكر بعضا منها فيما يلي :

فيذكر كامل محمد المغربي أن التغيير ينطلق من وضعية في الواقع الحاضر ويهدف إلى تبديل صورة الواقع هذه إلى صورة أخرى في المستقبل، فيعرف التغيير بأنه:" **التحول من نقطة أو حالة في فترة زمنية معينة إلى نقطة أو حالة أخرى في المستقبل**"[17]

وبالإضافة إلى طرفي مجال التغيير يحدد علي السلمي في تعريفه موضوع التغيير فيقول بأن التغيير هو : " **تحول في وضع معين عما كان عليه من قبل، وقد يكون هذا التحول في الشكل أو النوعية أو الحالة** " [18]

وفي المجال الاجتماعي يذكر علي القرشي أن التغيير الاجتماعي هو " **حركة في التاريخ الإنساني** "[19].

ويبين جودت السعيد بعض دوافع التغيير وبعض محدداته، وأن ذلك كله محكوم بقانون لا يتبدل فيذكر أن التغيير هو:" **انتقال من حالة لا يرضى عنها الإنسان إلى أخرى خير**

17-كامل محمد المغربي: السلوك التنظيمي -مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم - دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1413هـ/1993م، ص: 245.

18-علي السلمي : الإدارة المعاصرة، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، د.ت، ص : 225

19-علي القرشي:التغيير الاجتماعي عند مالك ابن نبي،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،ط:1409،1هـ/1989م،ص:105.

منها، وهذا الانتقال يخضع لقانون يتخذ علاقة بين الهدف والوسيلة وطاقة الإنسان "[20].

فالتغيير يعني مطلق التبديل والتحويل، فإذا تعلق بالماديات فإن تغييرها يقتضي تبديل حالتها أو وضعيتها وفق الدوافع الباعثة على هذا التغيير ووفق الأهداف المرجوة منه. وإذا تعلق بالمجال النفسي فإن تغيير النفس يقتضي تبديل أفكار الإنسان وقناعاته وتصوراته .وإذا تعلق بالمجال الاجتماعي فإن التغيير الاجتماعى يقتضي إصلاح أوضاع المجتمع وشبكة علاقاته ونظم تسييره ،...وهكذا.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

20- حودت سعيد: حتى يغيروا ما بأنفسهم،المطبعة العربية، الجزائر ،ط:1، 1410 هـ/1990م ، ص:26 .

ثانيا: تعريف التغيير الإسلامي

أما من حيث التعاريف الإجرائية للتغيير الإسلامي،فيمكن أن نميز بين صنفين من التعاريف:

الصنف الأول هو تعاريف تصف التغيير بأنه المحتوى النظري والمضمون الرسالي،وما تدعو إليه هذه العملية التغييرية من أحكام ومناهج وما تتبناه من تشريعات ،هذا جانب رباني الهي،وهو يمثل شريعة الله سبحانه تعالى التي نزلت على النبي محمد ﷺ.فالتغيير من هذه الناحية فوق التاريخ وفوق التقييم.

أما الصنف الثاني فهو تعاريف تصف التغيير بأنه عمل بشري ،وعملية اجتماعية متجسدة في مجموعة من الناس ،وبوصفها جهد إنساني يقاوم جهودا بشرية أخرى ،ومن حيث كونه عملا قائما على الساحة التاريخية تتحكم فيه سنن التاريخ،وتتحكم فيه الضوابط التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتنظيم ظواهر الكون والحياة[21].

والمفهوم الذي نقصده من خلال هذا البحث للتغيير الإسلامي هو الصنف الثاني منه، أي الجانب الذي يصف التغيير بأنه جهد بشري،ومن ثمة يمكن تعريف التغيير الإسلامي بأنه:

تلك الجهود المنهجية والمنظمة، والهادفة إلى إحداث تحويل جذري وشامل للواقع الفكري والسلوكي والاجتماعي،قصد تكييفه مع منهج الإسلام ومقاصده.

وهو التعريف المختار ، والذي سنبني لبنات البحث على أساسه ، والتغيير بهذا المفهوم عمل تاريخي بشري يخطئ ويصيب،ومن ثمة فهو يخضع في مناهجه وتطبيقاته وأهدافه للنقد والتقييم والتقويم.

21-محمد باقر الصدر:المدرسة القرآنية،دار التعارف للمطبوعات،بيروت،ص:47-49.

ثالثا: محددات التغيير الإسلامي

للتغيير الإسلامي عدد من المحددات النظرية الرئيسية؛ من حيث المنهج والأهداف والإطار المرجعي وغيرها، تحدد خصائصه ومميزاته التي تميزه عن غيره من المناهج التغييرية.

1-من حيث مجال النشاط:

التغيير الإسلامي هو التغيير الذي يشمل مجال نشاطه النفس والمجتمع الإنسانيين، ومايلي هذا التحول من تغيير في المحيط والواقع الحضاري العام، ذلك أن النفس الإنسانية هي المضغة التي إذا صلحت صلح كيان الإنسان كله وإذا فسدت فسد كيانه كذلك. كما أن الإنسان هو محور الحياة الإنسانية فوق هذه الأرض،وهو المؤثر والمتأثر الأول بمسرح أحداثها.

2-من حيث الإطار المرجعي:

التغيير الإسلامي هو التغيير الذي يعتمد أحكام شريعة الإسلام كمرجع وموجه في التنظير والممارسة،كما يستأنس أيضا باجتهادات العلماء المسلمين ،وتجارب الحركات الإصلاحية على مر العصور،كما يستفيد كذلك من الخبرة الإنسانية عامة.

3-من حيث النموذج القدوة:

فالتغيير الإسلامي يتميز عن غيره كونه يستند إلى تجربة نموذجية عملية تمثل القدوة والأسوة له، وهي تجربة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ في دعوته للناس وفي تغيير واقعه.

4- من حيث المنهج:

فالتغيير الإسلامي يعتمد المنهج الذي حددته رسالة الإسلام في دعوة الناس وإصلاح شؤونهم وأوضاعهم، من مثل اعتبار الإسلام للتغيير النفسي والفكري كأساس للتغيير الاجتماعي كما قال الله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"(الرعد: 11)، ومثل اعتماد مبدأ التدرج في إصلاح أوضاع الناس والمجتمع، ومثل اعتبار أعراف الناس وعاداتهم وواقع معاشهم، وغيرها من مفردات المنهج الإسلامي في التغيير.

5- من حيث الأهداف العامة:

التغيير الإسلامي يهدف إلى إصلاح الواقع الإنساني عامة ،وإلى إخراج الإنسان الصالح والأمة المسلمة الصالحة خاصة،وذلك بهداية الناس أفرادا وجماعات إلى ما فيه الخير والصلاح، وتحقيق الحياة الطيبة لهم، من أجل الترقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراني.

6- من حيث الجوانب التي يعالجها:

فالتغيير الإسلامي يتميز عن غيره بالشمولية فهو يهدف إلى إحداث تغيير شمولي عام يمس النفس والروح والعقل والجسم والأفراد والجماعات والمجتمعات، والعلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، أي جميع مظاهر النشاط البشري على الأرض، إذ ليس هناك ما يمكن استثناؤه من دائرة التغيير الإسلامي.

7- من حيث الوجهة:

يتميز التغيير الإسلامي بأنه تبديل وتحويل دائما نحو الأحسن، فهو يرمي إلى الإصلاح والازدهار والترقي و الإعمار وليس إلى الإفساد والدمار والخراب، فوجهة التغيير الإسلامي هي الصعود إلى الأحسن والأفضل دائما قدر الإمكان كما قال الله تعالى على لسان سيدنا شعيب – عليه السلام-:"إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (هود: 88) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: مفهوم النقد الذاتي

حتى نبين مفهوم مصطلح النقد الذاتي، لا بد أن نمر على عدد من المراحل،ابتداء من التعاريف اللغوية لمصطلحي النقد والذات.

المطلب الأول : النقد في اللغة

يدل المعنى الأصلي لمصطلح النقد على إبراز الشيء وإظهاره كما قال صاحب معجم مقاييس اللغة : النون والقاف والدال، أصل صحيح يدل على إبراز الشيء وبروزه [22].أما المعاني المتفرعة عن هذا المعنى الأصلي فهي كثيرة نكتفي بذكر ما يلي:

1-**التمحيص وإخراج الزيف**: فالنقد يعني إخضاع الشيء للتصفية والتمحيص للتفريق بين صالحه ورديئه،كاختبار الذهب بالنار ،فنقول نقد الدراهم أي تمييزها وإخراج الزيف منها[23].

2- **الكشف عن الحال**:فمصطلح النقد يعني أحيانا إظهار حال الشيء وأوصافه، فنقول نقد الدرهم: أي الكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك[24].

3-**إزالة الدرن عن الشيء**: فنقول نقدت الشيء إذا نظفته وأزلت ما علق به من زوائد وأوساخ ،ونقد الحافر هو تقشره [25]

4-**اختلاس النظر أو إدامته**:إذ تقول العرب: ينقد الإنسان الشيء بعينه أي يختلس إليه النظر لئلا يفطن له.وتقول أيضا ما زال فلان ينقد الشيء إذا لم يزل ينظر إليه. [26]

5-**المناقشة والحوار**:فمن معاني النقد في اللغة توجيه السؤال للغير ومناقشته في آرائه،

22-ابن فارس: المرجع السابق، 5/467-468.

23-ابن منظور : المرجع السابق، 6/700.

24-ابن فارس: المرجع السابق، 5/467-468.

25-ابن منظور : المرجع السابق، 6/700.

26-المرجع نفسه.

فنقول ناقدت فلانا، إذا ناقشته في الأمر.[27]

5-**تبيان الحسن والقبح:** فمن معانيه أيضا إظهار جمال الشيء وقبحه ،من الأعمال والسلوكيات والمواقف ،فنقول: نقد الشيء أي بيّن حسنه ورديئه[28].

6-**إظهار العيوب دون المحاسن:** فنقول نقد فلان الناس: أظهر ما بهم من عيوب[29]. أي ذكر ما فيهم من نقائص ومساوئ في أشخاصهم وأعمالهم .وانتقد الشيء : أظهر عيبه،والمنتقد:من يظهر المساوئ دون المحاسن[30]

8- **اللوم والعتاب:**أيضا من المعاني اللغوية لمصطلح النقد تقديم اللوم والعتاب لمن أخطأ من الناس،فنقول نقدهم إذا عاتبتهم ولمتهم.

9-**التقييم والتقويم:** ومن المعاني المستحدثة لكلمة النقد مصطلح التقييم أي إظهار قيمة عمل ما عن طريق محاكمته إلى معايير محددة ،فنقول ناقد: من يظهر صفات عمل من جودة ورداءة،ومنه جاء مصطلح النقد الأدبي الذي هو فن تمييز جيد الكلام من رديئه. [31]،وكذلك كلمة التقويم التي تعني تصحيح الاعوجاج وتدارك الأخطاء.

فكل هذه الإطلاقات هي معاني ممكنة لمصطلح النقد ،لكن يبقى كل معنى يُفهَمُ من خلال موقعه ضمن سياق الجملة أو الحديث.

أما الذاتي: فنسبة إلى الذات ،والذات في اللغة تطلق على الجسم بمركبيه: الجسد المادي ،والجوهر المعنوي ،كما تطلق الذات أيضا على النفس[32] .

وقال الجرجاني:الذاتي لكل شيء هو ما يخصه ويميزه عن جميع ما عداه،وقيل ذات الشيء أي نفسه وعينه ،وهو لا يخلو عن العرض، والفرق بين الذات والشخص هو أن الذات

27-المعجم العربي الأساس ،1220

28-المرجع نفسه.

29-المرجع نفسه.

30-المرجع نفسه.

31-المرجع نفسه.

32-الكفوي :الكليات ،ص454،345،344.

أعم من الشخص،لأن الذات تطلق على الجسم وغيره ،والشخص لا يطلق إلا على الجسم"[33]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

33-الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، 1412هـ/1991م،ص:119

المطلب الثاني : النقد الذاتي في الاصطلاح

ونتناول هذا المطلب من خلال أربعة عناصر أساسية هي :ذكر بعض مقولات المفكرين التي قيلت في النقد الذاتي، وتناول بعض المصطلحات المقاربة له في المعنى ، ثم تحديد بعض المحدّدات الأساسية للنقد الذاتي بعد ذلك، لنخلص في الأخير إلى التعريف الذي نختاره، ونبني أفكار البحث على أساسه.

أولا :بعض معاني النقد الذاتي

يذكر مالك بن نبي الدور العام للنقد الذاتي فيقول: **هو عامل تطهير جوهري مستمر للنفس والمجتمع من أسباب الضعف والاختلال**[34].

ويبين دوره النفسي والاجتماعي في حياة الفرد والجماعة فيقول: "**هو تطهير نفساني يتكفل باندماج الفرد و مكاملته أخلاقيا في قلب جماعة من المواطنين أو المؤمنين** "[35].

وفي الحقيقة أن الذي ذكره مالك بن نبي ليس تعريفا للنقد الذاتي وإنما هو إبراز لوظائفه وأدواره.

و يعرف خالص جلبي النقد الذاتي بأنه :" مراجعة **النفس أو النشاط، فرديا كان أو جماعيا**[36].

ثم يبين بُعده الأخلاقي فيقول: "**فكما أن** (النقد الذاتي) **هو حاسة وعي لمطاردة الأخطاء، كذلك هو التفات إلى الداخل للتطهير، وبالتالي التوجه بالدعاء إلى الله بوضع الذنوب والتثبيت على الطريق والنمو في الاكتمال الإنساني ،و تذكر الإنسان نفسه دائما**"[37] و يقول:" **هو ليس أكثر من التقويم الموضوعي الذي يلتفت إلى العامل الجوهري**

34- مالك بن نبي:تأملات، دار الفكر، الجزائر ودمشق، ط:1، 1412هـ/1991م، ص:151،143

35-المرجع نفسه ص:151،148

36-خالص جلبي:في النقد الذاتي ضرورة النقد الذاتي في الحركة الإسلامية مؤسسة الرسالة،ط2، 1405هـ/1984م، ص:20.

37-المرجع نفسه، ص:170.

في ولادة الأحداث وحل المشكلات"[38]

كما يعرف ماجد عرسان الكيلاني "النقد الذاتي" والذي يقابله لـــ"التفكير التبريري "بأنه:"**ذلك الأسلوب من التفكير الذي يحمل صاحبه المسؤولية في جميع ما يصيبه من مشكلات ونوازل، أو ما ينتهي إليه من فشل**"[39]

كما يعرف الطيب برغوث "بناء القدرات النقدية" عند الإنسان بأنه:"**امتلاك القدرة الفكرية والنفسية والمنهجية على إبصار نواحي القوة والضعف في حياة الأفراد، وحركة المجتمع ومؤسساته،والمساهمة الفاعلة في عمليات المراجعة والتقويم،أو المناصحة لتصويب الفهم وتسديد الخطوات**"[40].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

38-المرجع السابق،ص: 171

39-ماجد عرسان الكيلاني:أهداف التربية الإسلامية ،مؤسسة الريان،بيروت،1419هـــ/1998م،ص:64

40-الطيب برغوث :موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التحديد الحضاري عند مالك بن نبي ،دار الينابيع للنشر والتوزيع،الجزائر،ط: 1413،1هـــ/1993م،ص:19.

ثانيا: المصطلحات المقاربة

هناك الكثير من المصطلحات التي يمكن أن يمتزج معناها بمفهوم النقد الذاتي، والتي تعبر عن جانب من جوانبه أو حالة من حالاته، ومنها مايلي:

1-**محاسبة النفس:** لعل المحاسبة التي تعني العودة إلى النفس والنظر فيما لها وعليها، هي المصطلح الأنسب الذي يدل على النقد الذاتي الفردي،لكن الفرق الذي بينه وبين النقد الذاتي هو أن المحاسبة لا تشمل إلا الفرد في حين أن النقد الذاتي يشمل الفرد والجماعة و المؤسسة.

2- **المراجعة:** وتعني الرجوع إلى العمل والنظر فيه ،إذا كان صائبا أو مخطئا ،لكن الفرق الذي بينها وبين النقد الذاتي هو أن هذا الأخير هو النظر إلى دور العوامل الداخلية وتحميل الذات المسؤولية الكاملة، بينما المراجعة هي النظر إلى كل العوامل المؤثرة بصفة عامة.

3-**المناصحة:** إسداء النصيحة للغير هو إرشاده إلى عيب أو إلى رأي، فالنصيحة إذن هي نقد خارجي يوجه إلى الغير وليس داخليا. بينما النقد الذاتي هو تقديم النصيحة للذات أولا.

4- **الشورى:** الشورى هي تبادل أفراد الجماعة الرأي حول قضية من القضايا، ماضية كانت أو مستقبلية، بينما النقد الذاتي الجماعي هو تبادل الرأي في قضية ماضية وتحميل الذات الجماعية مسؤولية وضعية هذه القضية.

5- **الحوار :** الحوار هو تبادل الطرفان أو الأطراف المتعددة الآراء في موضوع معين، بينما النقد هو حوار داخلي مع الذات الفردية والجماعية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: التعريف المختار

تأسيسا على ما تضمنته كلمة النقد من معاني الإبراز، والتمييز، والكشف وإخراج الزيف، وإدامة النظر والنقاش...، وهي معان تنسجم تماما مع أهداف البحث ومقاصده، وبناء على ما قاله المفكرون بشأن موضوعات متعلقة بالنقد الذاتي ،نستخلص التعريف التالي:

النقد الذاتي هو عملية مراجعة الأفراد والجماعات والمؤسسات لمسيرهم و أدائهم ومناهجهم ،ومحاكمتها إلى معايير محددة، والالتفات إلى دور العوامل الداخلية فيها.

رابعا: شرح وتبسيط التعريف

من هذا التعريف المختار يمكن أن نستنتج مايلي:

1- النقد الذاتي هو مراجعة كل ما صدر عن الإنسان في الماضي،أو ما كان من المفروض أن يصدر عنه.

2- هذا النقد الذاتي يمكن أن يكون للفرد،كما يمكن أن يكون في الجماعة أو المؤسسة.

3- سهم النقد الذاتي متوجه دائما إلى الذات سواء كانت نفسا أو كيانا جماعيا أو مؤسسات،و الالتفات إلى دور العوامل الداخلية وليس للعوامل الخارجية.

4- النقد الذاتي هو عمل متواصل دون انتظار حصول مشكلات أو أزمات،فهو أحد مركبات أي عمل إنساني ، والتغيير الإسلامي على الخصوص.

5- الهدف من النقد الذاتي هو إبصار نواحي القوة والضعف في الكيان الفردي والجماعي،مع استثمار القوة وتلافي الضعف. فليس الهدف منه هو الكشف عن السلبيات والأخطاء لتقويمها فحسب، بل إدراك الإيجابيات والإمكانات لتدعيمها أيضا.

6- النقد الذاتي ليس عملا عشوائيا ،ولكنه عمل منهجي له معاييره التي يقاس بها الخطأ والصواب، وله ضوابطه العلمية والأخلاقية التي تحكمه وتوجهه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث :محددات النقد الذاتي

ونقصد بمحددات النقد الذاتي بعض الخصائص التي تضبط مفهوم النقد الذاتي، وهي على نوعين: محددات نظرية: وتتضمن موضوع النقد الذاتي، ومستوياته، ومجالاته، ومحددات واقعية: وتتضمن واقع النقد الذاتي ضمن جهود التغيير الإسلامي.

المطلب الأول: موضوع النقد الذاتي

نقصد بموضوع النقد الذاتي الشيء الذي يسلط عليه النقد، وهو هنا العمل الإنساني سواء كان فرديا أو جماعيا، والفردي سواء كان ممثلا في جانبه المادي الظاهري أو جانبه الغائي والهدفي.

والفعل أو العمل الإنساني هو حركة بقصد[41] ، أو هو حركة مقرونة بهدف [42] كما قال النبي ﷺ:" **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى** "[43] ، ولا نسمي الحركة بغير قصد عملا، فحركة الشمس والرياح ليست عملا، وإنما جريان مثل جريان النهر قال تعالى:"**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**"(يس:38)،ولكن العمل القاصد وعمل المريد وعمل الإنسان هو الذي يسمى عملا[44] كما قال الله تعالى: " **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**" (النحل:97)، والعمل الإنساني هو كل قول أو فعل مصاحب بقصد في جميع المجالات، في العبادات وفي المعاملات في الواجبات والتطوعات، بل في المباحات والمحظورات .

41-جودت سعيد: العمل قدرة وإرادة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص:83.

42-ماجد عرسان الكيلاني: أهداف التربية الإسلامية، ص:52.

43-رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب،كتاب:بدأ الوحي ،باب:بدأ الوحي، رقم:01

44-جودت سعيد: المرجع السابق، ص:83.

فيمكن أن نقول أن العمل الإنساني هو مجموع تصرفاته،سواء كانت أفعالا أو أقوالا.

ويعرف زكي عبد البر التصرف الشرعي بأنه:"**القول أو الفعل الذي يترتب عليه حكم شرعي**"[45]

كما يعرف القانونيون التصرف القانوني بأنه : "**اتجاه الإرادة نحو إحداث أثر قانوني، سواء أكانت هذه الآثار هي إنشاء أم تعديل أم نقل أم إنهاء حق من الحقوق**" [46] .

والتصرفات الإنسانية متنوعة وكثيرة جدا، وتبرز الى الواقع تحت مظاهر مختلفة وذلك طبقا لأوجه النشاط الذي يمارسه الإنسان، فهي يمكن أن تكون قولية كما يمكن أن تكون فعلية، ويمكن أن تقع منفردة صادرة من طرف واحد، كما يمكن أن تقع متقابلة صادرة من طرفين متقابلين متوافقين وهي العقود، كما يمكن أن تقع مشتركة فتكون تصرفات جماعية .

ولقد درج فقهاء القانون الإسلامي والوضعي على ذكر ركنيين أساسيين للتصرف الإنساني هما : **الركن المعنوي ، والركن المادي.**

ومن ثم يكون موضوع النقد الذاتي هو هاذين الجانبين، المادي والمعنوي.

والركن المادي في الفعل الإنساني هو الإجراءات المادية له،وهو يختلف من تصرف إلى آخر، والركن المعنوي هو القصد أو النية، والنية بتشديد الياء وتخفيفها مصدر نوى الشيء، ينويه ، إذا قصده واعتقده وحقيقتها قصد الشيء وعزم القلب عليه[47] ، والقصد هو التوجه نحو الشيء [48] .وهناك فارق دقيق بين النية والقصد وكل من الإرادة، والباعث، والدافع، والهدف، والسبب، وغيرها من المصطلحات.

وتعتبر النية هي الباعث على الأعمال والدافع إليها، ولذلك تُقَوم الأفعال بقيمة النية الباعثة عليها، فإن صلحت النية صلح العمل، وإن فسدت اختل العمل، ورب عمل صغير

45-محمد زكي عبد البر: التصرفات والوقائع الشرعية، دار القلم ، الكويت، ط:1 ، 1402هـ/1982م، ص:25.

46-توفيق حسن فرج: المدخل للعلوم القانونية، الدار الجامعية، بيروت، ط:1، 1988م، ص:870.

47-لسان اللسان(تهذيب لسان العرب)، 660/2.

48-المرجع نفسه، 387/2.

تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية.

وكان من أولى القواعد الفقهية التي رصدها العلماء قاعدة " الأمور بمقاصدها" التي قال مصطفى أحمد الزرقا في شرحها:" **أي أن أعمال الشخص وتصرفاته من قولية أو فعلية تختلف نتائجها وأحكامها الشرعية التي تترتب عليها باختلاف مقصود الشخص من تلك الأعمال والتصرفات.** [49]

فقد يشترك العمل الواحد في صورته الظاهرة، غير أنه يختلف حكمه بحسب النية الباعثة عليه، فيباح في حال ويمنع في حال ويكره في حال، ويصح في حال ويبطل في حال.

ولقد أفاض الإمام الشاطبي في كتابه الشهير "**الموافقات في أصول الشريعة**" بالحديث حول المقاصد عموما ومقاصد المكلف خصوصا، وكان مما قال في المسألة الأولى:" **إن الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة بالتصرفات من العبادات والعادات...ويكفيك منها أن المقاصد تفرق بين ما هو عبادة وبين ما هو عادة ، وفي العبادات بين ما هو واجب وبين ما هو غير واجب ، وفي العادات بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحرم والصحيح والفاسد، وغير ذلك من الأحكام ، والعمل الواحد يقصد به أمر فيكون عبادة، ويقصد به شيء آخر فلا يكون كذلك ، بل يقصد به شيء فيكون إيمانا ، ويقصد به شيء آخر فيكون كفرا كالسجود لله أو للصنم** "[50]

49-مصطفى أحمد الزرقا: المدخل الفقهي العام، دار الفكر، ط:1387،10هـ/1968م، 965/2.

50-الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 242/2

المطلب الثاني: مستويات النقد الذاتي.

إذا تأملنا المستويات التي يشملها النقد في مجال التغيير فانه يتبين لنا أن هناك نوعين من النقد ،نقد فردي يقوم به الشخص اتجاه نفسه،ونسميه النقد الذاتي الفردي ونقد تقوم به المؤسسة اتجاه ذاتها،ونسميه التلاوم الجماعي، مهما كانت نوعية وحجم هذه المؤسسة .

أولا :النقد الذاتي الفردي

النقد الذاتي الفردي هو محاسبة الإنسان لنفسه للتمييز بين ما له وما عليه[51] ومحاسبة النفس تقتضي إدانتها ومساءلتها باستمرار كما قال النبي ﷺ:"**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ** "[52]

قال الترمذي ومعنى دان نفسه أي حاسبها في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة، ويروى عن عمر بن الخطاب قال :**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا**[53].

ثانيا: التلاوم الجماعي

إن صلاح الفرد من خلال ممارسته المستمرة لعملية النقد الذاتي الفردي وتصويبه لأخطائه وتصحيحه لمسيرته غير كافية، ذلك أن بعض الأعمال والإنجازات ، هي إنجازات لا يمكن للفرد أن يسهم فيها بمفرده ومن ثم لا يتوقف صلاحها بإصلاحه هو فقط، وإن كان ذلك شرطا من شروطها، ولكن يزيد على ذلك بعض الاعتبارات المشتقة من النشاط الجماعي وما يكتنفها من الشراكة في العمل والمصالح والأهداف .

يقول مالك بن نبي :" إن نشاط المجتمع المشترك لا يتكون في بساطة لمجرد مجموع النشاطات الفردية، حتى ولو كانت هذه الأخيرة من نفس الجنس، وحتى لو كانت متحدة

51-ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،تحقيق وضبط:أحمد فخري الرفاعي،وعصام فارس الحرستاني،دار الجيل ،بيروت،،198/1.

52-رواه الترمذي في سننه عن شداد بن أوس، كتاب :صفة القيامة والرقائق والورع، باب:ما جاء في صفة أواني الحوض،رقم :2383 ،وقال :حديث حسن.

53-المرجع نفسه.

كلها في نفس الاتجاه؛ إذ يجب أيضا أن يتم تنظيمها في كنف النشاط الإجمالي، حسب مخطط تنظيمي ... لأن(العمل الصالح) و (العمل الصالح) لا ينضافان إلى بعضهما البعض بالضرورة، بل يمكنهما في بعض الحالات حتى أن يلغيا بعضهما البعض"،ونجده يعطي مثالا بعد ذلك فيقول :"فنحن قد تعودنا الدقة البالغة التي يمتاز بها(النمل) أثناء قيامه بعمله، عند أداء كل (نملة) لعملها الخاص على حدة، إلا أن (النمل) يبدو لنا أحيانا عندما يتشكل في مجموعة أنه قد ضل سبيله حتى لكأن غريزته تعوزه في هذا الحين بالذات، حيث نراه على سبيل المثال منهمكا حول فريسة يحاول أن يسحبها إلى مسكنه، ولكن بما أن كل (نملة) تمضي في سحب الفريسة إليها فإن الذي يحدث فعلا هو أن الفريسة تظل باقية في مكانها لا ترمم. إذن فالعمل المشترك يستلزم بالضرورة تنظيم وتنسيق جميع المعطيات، وخاصة جميع الأفكار التي تنهض بالنشاطات الفردية ." [54]

لذلك كان لزاما إضافة إلى النقد الفردي من ممارسة الجماعة للنقد الذاتي الجماعي، وهذا ينطبق على أنشطة و برامج جميع المؤسسات الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية وغيرها ،وهو ما يسمى بعمليات التقييم والتقويم .

ونحن ما دمنا بصدد تناول النقد الذاتي في مجال التغيير الإسلامي فإننا سنركز الحديث على المؤسسات التي تضطلع بهذه المهمة.

وأصل هذا الاصطلاح (**التلاوم الجماعي**) هو قوله تعالى في أصحاب الجنة:" فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ "(القلم:30) ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : " أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب" [55] .

فالتلاوم الجماعي إذن يقصد به إلقاء اللوم والعتاب، بأن يتطارح أفراد الجماعة و

54-مالك بن نبي: القضايا الكبرى، دار الفكر، الجزائر، ط1، 1412هـ/1991م، ص: 100-101.

55-مختصر تفسير ابن كثير، 536/3.

المؤسسة قضاياهم ومشاكلهم للمداولة فيها، بحثا وتحليلا وتعليلا في حوار نقدي يبرز فيه الحق والصواب فيما ينبغي أن تجري عليه مسيرة الجماعة والمؤسسة، مما يجعل الجهود متنامية ويقل فيها الارتباك ونسبة العطالة وضياع الجهد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: جوانب النقد الذاتي

يمكـــن أن نحصر جوانب النقد الذاتي في ثلاثة:النقد من جهة الفعل والترك، ومن جهة كيفية الفعل، ومن جهة المسار الشخصي أو الجماعي.

أولا: النقد من جهة الفعل والترك.

فالإنسان ينتقد نفسه أولا من جهة الواجبات الدينية والاجتماعية، سواء كانت واجبات فعل أو واجبات ترك.

وأولى الواجبات التي يجب على الإنسان محاسبة نفسه عليها هي حقوق الله والأوامر التي دعاه إليها،هل أداها أم لا؟ ويحاسب نفسه من جهة النواهي التي نهاه الله عنها هل انتهى عنها أم لا؟.وهذه أولى درجات المحاسبة وهي أساس بقية درجات المحاسبة الأخرى، فإن أقامها أقام البقية وإن ضيعها فهو لغيرها أضيع.

ثم يحاسب الإنسان نفسه من جهة حقوق الناس،هل أدى واجباته اتجاههم أم لا؟ وهل سلم الناس من أذاه وبوائقه أم لا؟ ذلك أن الإسلام يؤكد في كثير من أحكامه تعظيم ما يتعلق بحقوق العباد ويشدد في العقاب على المستهتر بها والمتقاعس عن أدائها ولو بدا له أنه أدى حقوق الله،فحق العباد هو جزء من حق الله ،وأي إخلال به فهو إخلال بحق الله.فقد **ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ"**(56)

وفي هذا المعنى الأول يقول ابن القيم-رحمه الله- :"وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولا على الفرائض، فإن تذكر فيها نقصا تداركه، إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي، فإن عرف انه ارتكب منها شيئا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ثم يحاسب

56-رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة،كتاب:باقي مسند المكثرين،رقم:9298.

نفسه على الغفلة فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشت إليه رجلاه، أو بطشت يداه، أو سمعته أذناه، "[57]

وكذلك بالنسبة للجماعة والمؤسسة فعليها أن تراجع ذاتها من حيث الفعل والترك، فهل فعلت ما كان يجب فعله من واجبات جماعية أم لا؟، وهل وقفت المواقف اللازمة في وقتها المناسب أم لا؟....

ثانيا: النقد من جهة كيفية الفعل

أما المعنى الثاني للنقد الذاتي فهو مراجعة الإنسان لما بدر منه من نشاط قولي كان أو فعلي من جهة الصواب و الإخلاص،كما قال ابن القيم:"ثم يحاسبها(النفس) بما تكلم به، أو مشت إليه رجلاه، أو بطشت يداه، أو سمعته أذناه، ماذا أرادت بهذا؟ ولمن فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟ "[58]

قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى:" لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا "(الملك:02) قال:أخلصه وأصوبه ،وقال :إن العمل إذا كان خالصا و لم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا و لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، قال : والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة"[59]

وكذلك بالنسبة للجماعة والمؤسسة فعليها أن تراجع باستمرار مناهج وأساليب عملها وأدائها.

ثالثا:نقد الذات من جهة المسار

والمعنى الثالث للنقد الذاتي هو مراقبة الفرد لذاته على مستوى مسار حركته التاريخية ،ونقده لنفسه باستمرار لتحسين أدائه والارتقاء بعمله إلى درجة الإحسان. وعن عبد العزيز

57-ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ،المكتبة الثقافية، بيروت، 67/1.

58-المرجع نفسه.

59- ابن رجب الحنبلي:جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم،تحقيق:شعيب الأرناؤوط وابراهيم باجس،دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر،ط:1، 1411هـ/1991م، 72/1.

بن أبي رواد قال:رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت :يا رسول الله أوصني، فقال:"**من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شر من أمسه فهو ملعون،ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان ، والموت خير له، ومن اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات** "[60] ،فالنبي ﷺ يحث الإنسان على أن لا يركن للقعود بل يجب أن يكون مسار حركته في حياته كلها تصاعديا وإيجابيا، فيكون يومه خير من أمسه وغده أفضل من يومه، وما تأخر من عمره خير مما تقدم، إلى أن يختم له بالحسنى كما كان النبي ﷺ يدعو:**اللهم اجعل أيامي يوم ألقاك، وخير عمري أواخره، وخير عملي خواتمه**"[61]

فلا يحق للإنسان أن يرضى عن نفسه ويركن إلى وضعيته ويستطيب مقامه فذلك أصل كل ضعف وانحراف ،يقول ابن عطاء الله السكندري:"**أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ،وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها ،ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه ،فأي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه**"[62]

ويقول ابن القيم: "**وأما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ،ويلبس عليه ،فيرى المساوئ محاسن والعيوب كمالا .** "[63]

وكذلك بالنسبة للجماعة والمؤسسة فعليها أن تراجع باستمرار مسار حركتها، وأن تصوب باستمرار وجهتها.

60-ابن أبي عاصم: كتاب الزهد الكبير،تحقيق:عامر أحمد حيدر،مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت،ط:3،1969م،367/2.

61-متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، للسيوطي.

62- محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام،دار الشهاب،باتنة،الجزائر،1990م ص:152.

63-ابن القيم:مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،200/1

المطلب الرابع: واقع النقد الذاتي

إن الدارس لتاريخ الحركات التغييرية الحديثة والمتتبع لواقعها ليدرك غياب مصطلح النقد الذاتي من قواميسها ومن برامج تكوينها، سواء على مستوى التنظير أو على مستوى الممارسة، إلا ما بدأ تداركه في العقدين الأخيرين من دعوة ملحة لضرورة النقد الذاتي من خلال كتب ومقالات لعدد من المفكرين.

أولا: غياب ممارسة النقد الذاتي

إن النقد الذاتي وبالرغم من كونه مبدأً عظيما من مبادئ القرآن، متمثلا في صور المراقبة والمحاسبة والتوبة والنصيحة والشورى والتلاوم، إلا أنه يكاد يكون غريبا وغائبا على ساحة الفكر الإسلامي عموما والعمل التغييري الإسلامي خصوصا.

وباستثناء الفترة النبوية وفترة الخلافة الراشدة والتي تُرجمت فيها صور النقد الذاتي إلى حقائق واقعية ، فإن الفترات الموالية ظهرت فيها بوادر الحجر على الرأي المخالف في مختلف المجالات السياسية والفقهية والفكرية.

يقول النجار:"ظهرت بوادر الحجر على الرأي المخالف مستهدفة بادئ الأمر الرأي المخالف للإسلام من المذاهب و الأديان، ثم امتد الزمن إلى الرأي المخالف في نطاق الدائرة الإسلامية نفسها، وتمثل ذلك في المنهجية العقدية والفقهية الضيقة التي تلغي أو تكاد الرأي الآخر، وتنطوي على الرأي الوحيد في تعصب وانغلاق، فضعفت بذلك كثيرا الخاصية النقدية، وغدا الفكر الإسلامي كما انتهى إليه أمره في العصر الحاضر أقرب إلى الفكر الخطي منه إلى الفكر النقدي"[64]

وقد انتقلت جراثيم هذه الآفة إلى الفعل التغييري الإسلامي في العصر الحديث، والذي أصيب بدوره بتنزيه الذات، وبتلوث الإكراه والحجر على الرأي المخالف كذلك، يقول عمر عبيد حسنة:" إن عمليات المراجعة والنقد والتصويب والتقويم اليوم تبدو وكأنها أمر جديد

64-عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1999م، 175/2 177.

على الحركة الإسلامية، رغم أهميتها في تسديد مسيرة الحركة واكتشاف مواضع الخلل والقصور وتصويبها، والارتقاء بمستوى الأداء ، حتى أصبحنا نجد بعض شرائح العمل الإسلامي يزعجها النقد والتقويم، إذ تعتبره تجريحا وهجما وتشهيرا، وإعانة لأعداء الإسلام، وكشفا لعورات المسلمين، ناهيك عن توهم بعضهم أنه بدعة لم ترد لا في القرآن ولا في السنة، ولا على لسان السلف الصالح ﷺ أجمعين."[65]

فالنقد الذاتي إذا اعتبر بدعا من الأمر ورفض من قبل شريحة هامة من الحركة الإسلامية، بل وإننا لنجد حتى من ادعى الإيمان به نظريا قد اعتمد نقيضه عمليا كما أوضح ذلك عمر عبيد حسنة بقوله:"وحتى الشرائح التي ادعت إدراك أهمية المراجعة ودعت إليها في أدبياتها المختلفة، وباهت برحابة صدرها، وترحَّمت على من أهدى إليها عيوبها...، فما أن يوجه إليها نقد أو تساؤل- من داخل التجمع أو من خارجه- حتى ترى أعضاءها يرفضون قبوله أو إعادة النظر فيما هم عليه، ويكون كل جهدهم أن ينفوا الخطأ ويتزهون الذات عن ارتكابه، وقد يتهمون المنتقد في نيته، فيحرمون أنفسهم والأمة من الإفادة من تجارب الماضي وخبرات الحاضر "[66]

ثانيا: بوادر الاهتمام بالنقد الذاتي

غير أن العقدين الأخيرين شهدا ظهور عدد من المراجعات لمسار ومناهج الحركات الإسلامية، حيث نشر عدد من المفكرين الإسلاميين كتابات ومؤلفات تؤكد على التجديد والتطوير والإصلاح في مجال الفكر الحركي الإسلامي، وتشير إلى أهمية النقد الذاتي ودوره في تحقيق هذا التجديد.

ففي عام **1981**م أعدّ **أحمد كمال أبو المجد** بيانا بعنوان "**نحو تيار إسلامي جديد**" عرضه للتشاور على مائة وخمسين شخصا من المثقفين و المفكرين والعلماء الإسلاميين في مصر، ومن ثم صدر في كتاب سنة **1991**م بعنوان "**رؤية إسلامية معاصرة: إعلان**

65-عمر عبيد حسنة: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، دار الهدى، الجزائر، ص: 6.

66-المرجع نفسه.

مبادئ"، وفي عام 1984م صدر كتاب مشترك **لحسن الترابي و راشد الغنوشي** بعنوان **"الحركة الإسلامية والتحديث"**، وفي عام 1989م أعد **عبد الله النفيسي** كتابا مهما جمع فيه أربع عشرة ورقة لمفكرين وقياديين إسلاميين حمل عنوان **"الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي"**، وفي عام 1990أصدر **محمد حسن فضل الله** كتاب **"الحركة الإسلامية قضايا وهموم"** دعا فيه إلى إبداع نهج لحركة إسلامية جديدة، وفي ذات العام صدر للسيد **هادي المدرسي** كتاب **"رؤية في مسيرة الحركة الإسلامية"**، وفي 1991م صدر كتاب **" مستقبل العمل الإسلامي: الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدولية وأزمة الخليج"** وفي 1993م صدرت أعمال ندوة **"الفكر الحركي الإسلامي وسبل تجديده"** حيث أكد البيان الختامي للندوة على ضرورة إنجاز دراسات علمية موثقة لمراجعة الفكر الحركي الإسلامي وتقويمه في مختلف المجالات، خاصة على ضوء المتغيرات الإقليمية والعالمية التي تستدعي من الفكر الإسلامي أن يراجع الكثير من مفاهيمه ووسائل وأساليبه.

والذي بعث قدرا من الاطمئنان أن هذه المراجعات والتقويمات قد صدرت من علماء ومفكرين وباحثين من داخل المرجعية الإسلامية وبدافع الحرص والحماية لها، ومع ذلك لم يسلم البعض من التجريحات حتى في هذه الحالات، كالذي حصل مع **محمد الغزالي** في كتابه **"السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"**.

ومن الكتابات الإسلامية التي برزت في مجال المراجعات والنقد:" **أزمة العقل المسلم" لعبد الحميد أبو سليمان**، وكتاب **"تراثنا الفكري بين ميزان الشرع وميزان العقل"** لمحمد الغزالي ، وكتاب:**"أزمة الوعي الديني"** لفهمي هويدي ، وكتاب: **"في النقد الذاتي: ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية" لخالص جلبي** ، وكتاب:**"الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم" ليوسف القرضاوي**، و**"الحركة الإسلامية ثغرات في الطريق" لعبد الله النفيسي** ، وكتاب:**"مراجعات في الفكر والدعوة والحركة" لعمر عبيد حسنة**، وكتاب: **"إصلاح الفكر الإسلامي" لطه جابر العلواني**...وغيرها.

ثالثا: التدريب على ممارسة النقد الذاتي

أما من حيث نشر ثقافة النقد الذاتي، فإنه لا يكفي أن يُنظَّرَ لها في الكتابات والمقالات والمحاضرات، حتى نقول أننا امتلكنا ثقافة النقد الذاتي، وتجاوزناها، أو أنها فكرة أصبحت واضحة، ولا تحتاج إلى تعميق وتطوير. فالنقد الذاتي هو عمل ينتجه علم دقيق به، وممارسة ميدانية ضمن أنشطة العمل الإسلامي المختلفة ولا يكفي القول به فقط، ولا التنظير له فحسب.

ويمكـــن للنقد الذاتي الجماعي أن ينجح إذا كان أفراد هذه الجماعة يتدربون باستمرار عـــلى نقد ذواتهم، ومصارحة أنفسهم، والاعتراف بأخطائهم وزلاتهم، أما إذا استعصى النقد عـــلى الأفراد ولم يتم تعويدهم على التوقف لمحاسبة ذواتهم، فأنّى لهم أن يحصل النقد الذاتي باجـــتماعهم، لأن عـــدم النقد الفردي هو اتباع للهوى وليس لسلطان العقل والمنطق، فإذا اجتمع هؤلاء كثرت الأهواء ، وانطلقت في جميع الاتجاهات.

إن ممارسة النقد الجماعي يحتاج إلى تخصيص جلسات دورية يفرضها القانون الداخلي لهـــذه الجماعات، للشورى والتقييم والتقويم، فلا تكفي الدعوة إلى النقد الذاتي، بل لا بد من التأسيس له ضمن أنشطة الجماعة، وجعله عملا موازيا لتنفيذ الأنشطة لتقييمها، حتى يصبح الـــنقد الذاتي ثقافة تسري في أذهان ونفوس الأفراد، وكيان الجماعة لا تغيب عنها لحظة من اللحظات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

جذرية التغيير الإسلامي وأهمية النقد الذاتي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: جذرية التغيير الإسلامي وأهمية النقد الذاتي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: العوامل الداخلية وأهميتها في التغيير

المطلب الأول: بيان أثر العوامل الداخلية عموما

المطلب الثاني: اتجاهات تأثير العوامل الداخلية في التغيير الاجتماعي

المبحث الثاني: الطبيعة الجذرية للتغيير الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم جذرية التغيير الإسلامي

المطلب الثاني: تغيير ما بالأنفس أساس تغيير الإنسان والمجتمع

المطلب الثالث: إصلاح المجتمع أساس التمكين

المبحث الثالث: دواعي النقد الذاتي وأهميته

المطلب الأول: دواعي النقد الذاتي

المطلب الثاني: أهمية النقد الذاتي

المطلب الثالث: مضاعفات غياب النقد الذاتي

الفصل الأول:

جذرية التغيير الإسلامي وأهمية النقد الذاتي

نتناول في هذا الفصل خاصية هي من أهم خصائص التغيير الإسلامي، وهي خاصية الجذرية، والتي تعني ارتكاز الإسلام على العوامل الداخلية في تغيير الواقع، ومن هذا المنطلق تأتي أهمية النقد الذاتي كعملية رجوع مستمرة إلى هذه العوامل الداخلية، والارتكاز عليها لإحداث التغيير المطلوب، وتصويب مسيرته باستمرار.

ونتناول هذا الفصل في ثلاثة مباحث أساسية:

1- العوامل الداخلية ودورها في التغيير.

2- الطبيعة الجذرية للتغيير الإسلامي.

3- دواعي النقد الذاتي وأهميته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:
العوامل الداخلية وأهميتها في التغيير

العوامل الداخلية هي تلك العناصر الذاتية الفاعلة والمؤثرة في الشيء أو الفعل و التي تشكل الأسباب الجوهرية في حدوث الأفعال والظواهر .

المطلب الأول: بيان ماهية العوامل الداخلية وأثرها في التغيير

إذا كانت ظاهرة التغير تخضع لمجموعة من السنن والقوانين الكونية والاجتماعية والنفسية فإنها تستند بالأساس إلى سنة العوامل الداخلية، هذا المبدأ الذي أودعه الله في الكون والنفس والمجتمع، والذي يجعل العوامل الداخلية هي المنطلق والأساس لكل حادث يتم أو ظاهرة تحدث، سواء على مستوى المادة، أو العضوية البدنية، أو النفس، أو المجتمع، أو الدولة، أو الحضارة. فالعامل الداخلي هو الذي يلعب الدور الحاسم والأساس في ولادة الأحداث، وفي حدوث التغيرات إيجابا وسلبا، وبناءً وهدما. كما أن العوامل الداخلية هي مسند ارتكاز التحولات الاجتماعية والتاريخية ونقطة بدايتها وانطلاقها.

ولإبراز أثر العوامل الداخلية في ظاهرة التغير،ارتأيت أن أبين دورها في جوانب أربعة، هي الجوانب المادية، والعضوية، والنفسية، والاجتماعية.

أولا: في مجال المادة

إذا تأملنا ظاهرة طبيعية مثل سقوط أوراق الشجر في فصل الخريف، فإننا عند تفسيرنا الأولي للظاهرة، سنُرجع السبب في حدوثها إلى العامل الظاهري البارز والمتمثل في وجود الريح، ولكن بقليل من التفكر يرد تساؤل مفاده: لو كان الريح هو سبب سقوطها، فَلِمَ كان السقوط في فصل الخريف مع وجود الريح في بقية فصول السنة ؟.

وعند التحليل العلمي لهذه الظاهرة، فإننا سنجد أن السبب الجوهري لسقوط الأوراق

في فصل الخريف هو انتهاء دورة حياة العلاقة الداخلية التي كانت تربط الأوراق بأغصان الشجرة، مما هيأها للسقوط، لقد انتهى ارتباطها بالشجرة من الناحية السُّنِيَّة، أما بقاؤها معلقة فليس ذلك لقوتها، وإنما لأنه لا يوجد العامل الخارجي الذي يلغي هذا الارتباط المزيف، فكان الريح مبرر السقوط وسببا متمما للسبب الأصلي، ومبرزا لمرض كان يعيش في الأعماق، ولو لم يأت الريح لسقطت بعد حين،وكل ما فعله الريح أنه عجل بسقوطها. [1]

إن هذه الظاهرة تبين أن الرابطة الداخلية هي مصدر الصورة الخارجية، حيث سنة الله التي تحكم هذه الظاهرة تؤكد أن للعامل الداخلي الدور الحاسم في حدوث الوقائع المادية الخارجية.

ثانيا: في مجال العضوية البدنية

ونأخذ مثالا لذلك ظاهرة حدوث المرض بشكل عام، فالمرض كما يعرفه خالص جلبي بأنه: اختلال كفة الصراع لصالح الجراثيم على حساب دفاع العضوية.

أما شدة المرض فما هي إلا معادلة بين ثلاثة عوامل: عدد الجراثيم المهاجمة، وحمة الجرثوم أي درجة سميته، ومقاومة الجسم.

شدة المرض = عدد الجراثيم × الحمة (درجة السمية) /المقاومة (المناعة)

فهناك توازن دقيق بين مقاومة الجسم والجرثوم المتربص على الحدود الخارجية، فإذا ضعفت المقاومة لسبب أو لآخر، انقض الجرثوم فحصلت معركة بين دفاع الجسم في صورة مقاومة الكريات البيض خاصة، وهجوم الجراثيم وما تفرز من ذياقين وسموم، وعندما يتغلب الجرثوم ،أو بالأحرى عندما لا تكون مقاومة الجسم مجدية يختل التوازن ويحدث المرض.

إننا إذن حينما نأتي إلى تحليل أسباب المرض في العضوية نرى أن نقطة انطلاق المرض هي ليست في وجود الجرثوم لأن وجوده قائم،ولكنها تبدأ بانهيار حاجز المقاومة أمامه لسبب أو لآخر، مما يعطي الفرصة لهجوم الجرثوم وحدوث المرض .

1-خالص جلبي:في النقد الذاتي –ضرورة النقد الذاتي في الحركة الإسلامية- ص:105،

فالمرض كما نرى هو تعبير عن ضعف الجسم أكثر مما هو تعبير عن قوة الجرثوم لأن السدود والقلاع المناعية قوية للغاية، ففي حال ضعف التماسك والقوة الداخلية فإن المرض يظهر، وهكذا نرى هنا ديناميكية مستمرة بين الدفاع والهجوم، بين المرض والصحة.[2]

ثالثا: في المجال النفسي: ونتناول فيه ثلاثة أمثلة .

المثال الأول:

ويمكننا أن نأخذه من تأثير الحالة النفسية للمذنب على سلوكه،هذا التأثير الذي يتجلى في مظاهر الخوف، الارتباك، الاضطراب،التي قد تظهر على ملامحه،أو في نبرة صوته أو في بعض تصرفاته كما في قصة سارق دجاج القرية، وخلاصتها أن سرقة حدثت في قرية، واحتار الناس في كشف السارق،فما كان من حكيم القوم إلا أن جمع أهل القرية في صعيد واحد، ثم قام يخطب في الناس ويذكرهم بالحادثة، ثم استطرد يقول: ولا يكفي السارق أنه سرق، بل جاء فدخل محفلنا هذا، وقد وضع على رأسه ريشة، فما كان من السارق إلا أن مد يده إلى رأسه لمسحها ليتأكد من عدم وجود الريشة على رأسه،فافتضح أمره.

ففي هذا المثال يبرز دور العامل النفسي الداخلي في السلوك والمواقف،إذ أن الشعور الداخلي يظهر حتى في تعابير الوجه وحركات الجوارح ونغمة الصوت، وقد عبَّر القرآن عن هذا وأشار إلى علاقة الرصيد النفسي الداخلي بنغمة الصوت وتقاسيم الوجه في حديثه عن المنافقين،حين قال الله تعالى فيهم:"وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ"(محمد:30).[3]

المثال الثاني:

فلما رآهما هذا الذي ما عرف قلبه الخوف، صمت قليلا كأنما ألقي عليه دلو من الماء البارد، ثم قال في نفسه: طفل ...؟ فكيف يكون الأب إذن ...؟ ثم أطلق ساقيه للريح

2-خالص حلبي: المرجع السابق ،ص: 108 -109.

3- المرجع نفسه ،ص:110 .

عائدا من حيث أتى." [4]

فهذا المثال يبرز الدور الحاسم للعامل النفسي في الموقف الخارجي.

والمثال الثالث:

الذي يتجلى فيه دور العامل النفسي في التأثير على المواقف والسلوك، ونأخذه من موقفي المرأتين اللتين ادعتا الولد في قضاء سليمان وداود –عليهما السلام–

فقد روي عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " **كَانَت امْرَأَتَان مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لصاحبتها: إِنَّما ذَهب بِابْنِك وقالت الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِك، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَام فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَت الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى**" [5]

قال ابن القيم تعليقا على هذه الحادثة: " فاستدل برضى الكبرى بذلك، وأنها قصدت الاسترواح إلى التأسي بمساواة الصغرى في فقد ولدها، وشفقة الصغرى عليه، وامتناعها من الرضا بذلك أدل أنها أمه، وأن الحامل لها على الامتناع من الدعوى ما قام بقلبها من الرحمة والشفقة التي وضعها الله في قلب الأم، وقويت هذه القرينة عنده حتى قدمها على إقرارها، فإنه حكم به لها مع قولها " هو ابنها " وهذا هو الحق" [6] ،فابن القيم جعل مستند الحكم ، هو ما قام بنفس الصغرى من الرحمة والشفقة بولدها ،التي وضعها الله في قلب الأم .وهذا اعتبار واضح لسنن الله تعالى التي فطر عليها خلقه.

وهو المثال الذي أورده جودت سعيد في كتابه – حتى يغيروا ما بأنفسهم– والذي جاء فيه:" يحكى أن عملاقا بلغ من القوة ما يُدْهش ويحير، وطبقت شهرته الآفاق، وترامت أنباءه حتى وصلت إلى عملاق آخر في بلد قريب، فأحب أن يتعرف على ذلك الذي يتحدث عنه

4–جودت سعيد: حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص:92.

5–البخاري: الصحيح، كتاب: الفرائض ،باب:إذا ادعت إمرأة إبنا،رقم: 6271.

6–ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية،دار الكتب العلمية، بيروت، ص:05 .

الناس، فأرسل إليه رسالة لطيفة يطلب وده، ويعرض صداقته، ولكن خاب ظنه حين جاءه الجواب القاسي ينهاه عن التطاول فوق مرتبته ... فصمم على الانتقام لشرفه من هذا المغرور الذي أساء الأدب في رده. فخرج يسعى إليه حتى وصل إلى مشارف أرضه. ولما سمع المغرور وقع أقدام خصمه يهز الأرض خارت قواه وتغير لونه، وأدركت امرأته حاله، فأشارت عليه أن يندس في الفراش، وألقت عليه دثارا... ولما وصل الخصم الهائج سألها عن الوقح المغرور الذي لا يعرف قدر الناس، حتى يعرفه نفسه، ويعلمه كيف يكون جواب الناس.. فطلبت منه ألا يرفع صوته حتى لا يوقظ الطفل النائم، وأشارت إلى قدميه وقد برزتا من تحت الدثار.

رابعا: في مجال التغيير الاجتماعي

وأثر العوامل الداخلية يظهر أيضا في مجال التغيير الاجتماعي (وهو موضوع بحثنا هذا)، حيث يتبين أن تغيير المجتمع يجب أن ينطلق من تغيير مكامنه الداخلية،كما قال الله تعالى: :" **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**"(الرعد: ١١).

أما التغييرات الفوقية فإنها ستبقى سطحية غير عميقة، وهي مهددة بالزوال بأبسط عوامل هدم داخلية أو خارجية.

فالتغيير الاجتماعي الموفق هو التغيير الذي يأتي المشكلات من جذورها ومفاصلها، فهو يركز على إصلاح الأوضاع النفسية والفكرية للمجتمع، فإذا حصل له ذلك، فإن ما بعده من الإصلاحات المادية والسياسية والاقتصادية والعمرانية ستكون نتيجة طبيعية وحتمية لما قبلها، وهو ما سنفصل فيه الحديث في المبحث الموالي(الطبيعة الجذرية للتغيير الإسلامي).

المطلب الثاني:
اتجاهات تأثير العوامل الداخلية في التغيير الاجتماعي

إن العوامل الداخلية التي تلعب الدور الأساس والحاسم في ولادة الأحداث، وفي حدوث التغيير، تؤثر في العمليات التغييرية الاجتماعية في اتجاهين متعاكسين، الأول في اتجاه الهدم والسقوط والثاني في اتجاه البناء والصعود.

مع ملاحظة أن هناك نوعان من التغيرات ،هناك التغيرات السريعة الحدوث التي تحدث في سلوكات الأفراد والجماعات ومواقفهم،وهناك التغيرات الحضارية الطويلة الأمد ،الخاصة بالأمم والمجتمعات كالازدهار أو الانحطاط الحضاريين.

أولا: تأثير العوامل الداخلية في اتجاه السقوط والهدم

فالجهة الأولى التي تؤثر في اتجاهها العوامل الداخلية هي الاتجاه السلبي،فما من تقهقر في أمة من الأمم و أفول لحضارتها إلا كان مصدره ما بالذات الداخلية من ضعف و وهن، و هنا يأتي القانون الإلهي :" إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"(الرعد: 11) في اتجاهه الأول، ليبين بأن الله لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية فيزيلها عنهم،وينتقم منهم، إلا بتغيير ما بأنفسهم، بأن يكون منهم الظلم والمعاصي والفساد وارتكاب الشرور والآثام التي تهدم بنية المجتمع وتدمر كيان الأمم"(7)

فالله لا يحط من قيمة أمة ، ولا يدمر كيانها و منجزاتها الحضارية، إلا إذا اقترفت أسباب الانحطاط والاندثار،وهذه العلاقة بين الأسباب ونتائجها هي بمثابة سنن إلهية وقوانين تاريخية.

ونورد هنا مثال "الاستعمار والقابلية للاستعمار" كصورة لإبراز أهمية العوامل الداخلية في التحولات التاريخية، في اتجاه التقهقر والسقوط.

7 وهبة الزحيلي:التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 124/13.

فاستعمار الدول واستغلال الأمم لا يمكن أن يحصل إلا إذا كانت هذه الدول ضعيفة هينة لا تستطيع أن تدفع عنها هذا العدوان،وهذا ما يسميه مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار ،حيث يبين أن ظاهرة الاستعمار ما هي إلا نتيجة لعامل داخلي وهو القابلية للاستعمار،كما أن الاستغلال ما هو إلا نتيجة طبيعية للقابلية للاستغلال.

وفي ذلك يقول مالك ابن نبي :"إن هناك حركة تاريخية ينبغي ألا تغيب عن أنظارنا وإلا غابت عنا جواهر الأشياء فلم نر منها غير الظواهر؛ هذه الحركة لا تبدأ بالاستعمار بل بالقابلية له، فهي التي تدعوه" (8).

و أصل هذه الفكرة هو حديث النبي ﷺ الذي قَالَ فيه:" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"(9)

لقد أوضح النبي ﷺ بأن السبب الجوهري لتكالب الأمم هو الوضع الذاتي الداخلي والمتمثل في الوهن الذي يتسبب في الغثائية والضعف والخور الناتج عن التعلق بالدنيا وشهواتها.

يقول محمد البشير الإبراهيمي:"والسبب في هذا البلاء هو استعداد فينا كاستعداد المريض للموت، وشعور بالنقص في أنفسنا، لبعد عهدنا بالعزة والكرامة، ولموت أشياء فينا تُصاحب موتَها في العادة يقظة أشياء، ففقد الإحساس بالواجب تصحبه يقظة الشهوات الجسدية...وموت النخوة تصحبه سرعة التقليد وعادة الخضوع للغالب وسرعة التحلّل والذوبان"(10)

8- مالك بن نبي :وجهة العالم الإسلامي، ترجمة :عبد الصبور شاهين،دار الفكر ،الجزائر،ط:5، 1406هـ/1986م،ص:93

9-رواه أبو داود في سننه عن ثوبان، كتاب:الملاحم ،باب:في تداعي الأمم على الإسلام،رقم:3745 .

10-محمد البشير الإبراهيمي: داء المسلمين ودواؤهم، مجلة المسلمون، ع:9،س:1373هـ/1954م،عن آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم د:أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط:1997،1م، 312/4.

فالوضع الذاتي الداخلي وما يكون عليه من سوء، هو الممهد للعامل الخارجي، والعامل الداخلي هو الداعي والمسبب لوقوع الاستغلال والاستعمار والتكالب، وهذا ما يؤكده واقع التاريخ الإسلامي، يقول وهبة الزحيلي:"وواقع التاريخ الإسلامي في القرون الماضية يدل دلالة واضحة على أن الله تعالى لم يغير ما كان عليه حال الأمة الإسلامية من عزة ومنعة، ورفاه واستقلال، وعلم وتفوق في السياسة والاقتصاد و الاجتماع، إلا بعد أن غيروا ما بأنفسهم، فحكموا بغير القرآن، وأهملوا دينهم ،وتركوا سنة نبيهم،وقلدوا غيرهم، وضعفت روابط التعاون بينهم، وساءت أخلاقهم ،وانتشرت الموبقات بينهم ."[11]

ويؤكد الله تعالى هذا القانون في قوله: " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"(الأنفال: 35)، فالله تعالى لا يغير النعمة ولا يزيلها إلا بسبب ذنوب ارتكبها القوم، فإذا غيروا ما بهم من الحال وكفروا النعمة و بطروا الحق، سلبها الله منهم.فالمصيبة والهزيمة تحل بالأمة إذا اقترف أفرادها أسبابها، بما يرتكبونه من أخطاء ومعاصي.

وحتى المواقف الآنية و نتائجها الظرفية، فما يكون فيها من مصيبة عامة أو خاصة، وما يقع فيها من هزيمة أو فشل، إلا كان سببه الأصلي هو الخلل الذاتي والضعف الداخلي كما قال الله تعالى : "وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ"(النساء:79)

وفي مصيبة يوم أحد يقول تعالى : " أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ "(آل عمران:165) تعقيبا على تساؤل المسلمين عن سبب انهزامهم في غزوة أحد، فأجابهم الله تبارك وتعالى مقرعا لهم: إن ما حدث هو بسبب من أنفسكم، وبما كسبت أيديكم من أخطاء ومعاصي.

11-وهبة الزحيلي،المرجع السابق ،124/13.

فالصفوف كانت مشتتة إذ كان فيها مجموعة من المنافقين الذين انسحبوا قبل بدء المعركة، إضافة إلى عصيان أوامر النبيﷺ وعدم الرباط في الثغور المخصصة لكل مجموعة، الشيء الذي أدى إلى انعدام الوحدة في الرأي، وضعف في الموقف، وتنازع بين الأفراد، وبروز النزعات الفردية،والفشل بعد ذلك... هذا العصيان الذي صدر من الرماة خاصة بعدم لزومهم أماكنهم مهما كانت أطوار القتال، جاء نتيجة ضعف نفسي تيقظت خلاله بقية في أنفسهم من حب الدنيا والإقبال على عرضها الزائل، فكان أثر ذلك ما كان من الانهزام [12] وفي ذلك يقول تعالى: "حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ "(آل عمران :152)،فنتيجة المعركة هي الفشل، وسبب التنازع هو عصيان أوامر الرسول ﷺ، والسبب الأصلي لكل ذلك هو حب الدنيا والطمع في المغانم.

يقول محمد سعيد رمضان البوطي:"**لقد استشف النبي ﷺ بفراسة النبوة أو بوحي من الله تعالى هذا الذي قد حدث فيما بعد (عدم لزوم الرماة أماكنهم)، فراح يؤكد التوصيات والأوامر، وكأنه في ذلك يجري مع أصحابه مناورة حية مع عدو لهم هو النفس وأهواؤها، وما تنطوي عليه من طمع في المال والغنائم**".[13]

و غزوة أحد لا تمثل صورة تأثير العوامل الداخلية في اتجاه الهزيمة فحسب بل تمثل صورة تأثير العوامل الداخلية في اتجاه النصر أيضا كما بين ذلك البوطي ،حين قسّم مدة الحرب في هذه الغزوة إلى شطرين:

الشطر الأول وهو الذي كانت فيه الصفوف الداخلية موحدة ، التزم فيها كل الأفراد أماكنهم، وأوامرهم التي تلقوها من النبي ﷺ لقد كانوا يعيشون مرحلة أداء الواجبات ، استعلوا فيها على رغباتهم و نزواتهم فكان ثمرة ذلك أن سارع النصر إلى المسلمين، وسارعت

12- محمد الغزالي:فقه السيرة، مكتبة رحاب ،الجزائر،1407هـ/1987م،ص:268

13-محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية، دار الفكر، الجزائر، ط:11، 1412هـ/1991م، ص:179.

الهزيمة إلى صفوف المشركين .وهذا الشطر هو الذي علقت عليه الآية :" وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ " (آل عمران :152) .

والشطر الثاني هو الذي انقسمت فيه الصفوف بعد أن كانت موحدة، وخالف فيه بعض الأفراد الأوامر التي تلقوها من النبيﷺ، واعتقدوا بأنهم في حلٍّ منها، فغادروا أماكنهم دون انتظار إذن رسول اللهﷺ، دافعُهم إلى ذلك الحصول على الحقوق المتمثلة في الغنائم، فما كان نتيجة هذا الوضع الداخلي الذي ساده التنازع والفرقة، والعصيان، إلا أن انقلب النصر هزيمة، وهذا الشطر هو الذي علقت عليه الآية:"حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" (آل عمران :152)"[14]

14-المرجع السابق،ص180.

ثانيا: تأثير العوامل الداخلية في اتجاه البناء والصعود

أما الجهة الثانية التي تؤثر في اتجاهها العوامل الداخلية فهي الجهة الإيجابية، يأتي القانون الإلهي: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"(الرعد: ١١) في أحد اتجاهيه ليشير إلى أن تغيير أوضاع القوم وشؤونه وظواهره، لا تتغير من السلب إلى الإيجاب حتى يتغير ما بأنفسهم، فلا يتغير حالهم من الفقر إلى الغنى، ومن السقم إلى الصحة، ومن الذل إلى العزة، **إلا إذا** تغير ما بأنفسهم من أفكار ومفاهيم ومبادئ.

فما من أمة تألقت وازدهرت **إلا إذا** أخذت بالأسباب الجذرية لذلك، فشحنت عقول **أفرادها** بالأفكار السليمة، وشحذت نفوسهم بالإرادة الجازمة، والهمة العالية، فالتزموا **بالواجبات** اليومية التي تمكنهم من أسباب القوة والتألق، فما بنفس الإنسان هو المحفز الأول **والدافع الأساس** لحركة التاريخ.

إن الإنجازات التاريخية الكبيرة ما هي إلا تراكم متواصل للإنجازات الجزئية التي يقوم بها كل عنصر هنا وهناك، يقول مالك بن نبي:" **إن التاريخ لا يبدأ من مرحلة الحقوق، بل من مرحلة الواجبات المتواضعة في أبسط معنى للكلمة، الواجبات الخاصة بكل يوم، بكل ساعة، بكل دقيقة، لا في معناها المعقد، كما يعقده عن قصد أولئك الذين يعطلون جهود البناء اليومي بكلمات جوفاء،وشعارات كاذبة، يعطلون بها التاريخ، بدعوى أنهم ينتظرون الساعات الخطيرة، والمعجزات الكبيرة**"[15]

أما بالنسبة للسلوكات والمواقف الجزئية الفردية والجماعية، فإنها لا تتغير نحو الإيجاب والأفضل إلا بالاجتهاد في تغير ما بالنفس كما قال الله تعالى:" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ "(العنكبوت:69) قال الطبري:"لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة[16] فمن جاهد بالطاعة ونصر دين الله وقاتل أعداء الله..هداه الله ووفقه الى طريق

15-مالك بن نبي:في مهب المعركة، ص:88

16-مختصر تفسير الطبري، 176/2.

الجنة وطيق السعادة والخير في الدنيا والآخرة[17]

إن ما بالنفس هو الذي يطبع سلوك الإنسان ويحدد قيمة المواقف، فإذا أردنا أن تكون المواقف إيجابية وموفقة فيجب أن ينصب جهدنا على تغيير ما النفس أو المحتوى الداخلي، وفي ذلك يقول جودت سعيد:"**إن سلوك الإنسان وتصرفاته نتيجة لأفكاره، وبتعبير أدق لما بنفسه، فإذا تغير ما بنفس الإنسان سواء كان ذلك بجهده أو بجهد غيره، فإن سلوكه ومواقفه لا محالة تتغير، وهذا التغير يمكن أن يصل إلى درجة النقيض**" [18]، كأن يتحول السكون إلى حركة و الإحجام إلى إقدام، والخنوع إلى المواجهة والتحدي .

ومثال ذلك موقف سحرة فرعون الذين كانوا في بداية الأمر يقفون إلى جانب فرعون، ويدافعون عن دينه ويتحدون موسى عليه السلام ويتوعدونه بالنيل منه ومن دينه، لقد كان فرعون يمثل مثلهم الأعلى يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، يرجون رحمته، ويخافون عذابه، وينظرون إليه على أنه القوي العزيز والمالك المطلق، حتى إذا أدركوا المثل الأعلى الحق وتفاعلوا معه تحولت إرادتهم إلى نقيض ما كانت عليه.

لقد كانوا في أول النهار يقولون " بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ " (الشعراء :44) حتى إذا أتى عليهم المساء رأيتهم يواجهون طاغية الدنيا بما جاءهم من البينات والهدى وما جاءهم من براهين توضح لهم المثل الأعلى الحق. جعل إرادتهم تتحول من حالة إلى حالة ، من الحالة السفلى إلى الحالة العليا، من إرادة الباطل إلى إرادة الحق، من إرادة فرعون إلى إرادة الله تعالى.

لقد أحدث هذا التحول الداخلي في معتقداتهم انقلابا كبيرا في توجهاتهم، تَمَثَّلَ في أنهم خروا سجدا وأعلنوا إسلامهم، ورغبوا عن دين فرعون رغم التهديد والوعيد، بل وأكثر من ذلك فقد هانت عليهم أنفسهم وقبلوا التضحية بها في سبيل هذا الدين الجديد.

17-وهبة الزحيلي: التفسير المنير، 38/21.

18-جودت السعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص:91.

ويصور الله تعالى هذا الانقلاب الهائل في نفوس سحرة فرعون فيقول: " قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى " (طه: 71-73)

فتحول المحتوى الداخلي هو الذي حرك هؤلاء، وولّد فيهم طاقة المواجهة هذه، بل لقد أنشأهم خلقا جديدا بروح جديدة، وعزم جديد، وفلسفة جديدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :
الطبيعة الجذرية للتغيير الإسلامي

ونريد أن نضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب أساسية:

1- مفهوم جذرية التغيير الإسلامي.

2-تغيير ما بالأنفس أ ساس تغيير الإنسان والمجتمع.

3- إصلاح المجتمع أساس التمكين

المطلب الأول: مفهوم جذرية التغيير الإسلامي

إذا كان التغيير الإسلامي هو العمل على إحداث تحويل جذري شامل ومتوازن في الواقع الإنساني نحو النموذج الإسلامي المطلوب، فإن الجذرية هي أهم خاصية لهذه العملية .

والجذرية لفظ مشتق من كلمة الجذر بمعنى الأساس، الأصل، القاعدة، فنقول: جَذْرُ الشيء أي أصله [19] .

ويمكن أن نعرف الجذرية في الاصطلاح بأنها: **الانطلاق من العوامل الداخلية لتغيير متعلقاتها في الخارج**، سواء في مواجهة المشكلات ومحاولة علاجها، أو بناء الذات والمجتمع.

فجذرية التغيير الإسلامي تعني: **العمل على تحقيق التغيير الأصيل الذي يأتي المشكلات من جذورها و مفاصلها، ويحسم مادة المرض من أصولها البعيدة في النفس والمجتمع، ولا يرضى بالتغيرات الأفقية و الشكلية والقشرية التي لا تلتفت إلى أسباب المشكلات وإلى دور العوامل الداخلية فيها** [20] .

والجذرية خاصية أقرها القرآن الكريم في نصوصه ومنهجه، كما أكدتها سيرة الرسول ﷺ في خطوات واضحة وفي مواقف بيّنة.

19-ابن منظور: لسان العرب،مادة:جذر.

20-الطيب برغوث: التغيير الإسلامي خصائصه وضوابطه ، مكتبة رحاب، الجزائر، ص: 47 وما بعدها.

ونأخذ مثالا على ذلك مشكلة الرق وكيف عالجها الإسلام واستأصلها من جذورها، حيث قام الإسلام بتجفيف منابع الاستعباد في المجتمع، فأوجب احترام الإنسان، وحظر استعباده وامتهانه في نصوص كثيرة من القرآن والسنة، حيث وضع الإسلام لعلاج مشكلة الرق عدة طرق ومفاتيح منها:

1-مفتاح القلوب، حيث حرض الإسلام على عتق الرقاب ورغبهم في ذلك.

2-مفتاح خزائن الدولة إذ جعل فيها سهما مقررا في كل عام لافتداء الأسرى تحرير المستبعدين.

3-مفتاح الكفارات: الظهار، اليمين، القتل الخطأ، كفارة الصيام[21].

وعندما أراد هذا المفهوم أن ينحرف في المجتمع الإسلامي وجد رجلا وقّافا عند حدود الله، ومُقدِّسا لكرامة الإنسان وحريته كعمر بن الخطاب يسدد المسيرة، بقولته المشهورة لعمرو بن العاص:**"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"**.

فالتغيير الإسلامي يهدف إلى العمل على تغيير الأوضاع النفسية والفكرية والاجتماعية تغييرا جذريا يحسم مادة المرض من أصولها البعيدة في النفس والمجتمع.

وإذا تأملنا معالجة الإسلام لفاحشة الزنى مثلا فإننا نجده قد احتاط لكل أسباب هذه الجريمة، فسد كل ذرائعها ،ووضع لدرئها كل الضمانات الوقائية، ومن ذلك الاستئذان عند الدخول للبيوت، والأمر بغض البصر، والنهي عن إبداء الزينة للمحارم، وإيجاب الحجاب على المرأة، والحض على الزواج، و إنكاح الأيامى، والتشديد على عقوبة الفاحشة، وتحريم إشاعة الفاحشة في المجتمع، ...وهذه كلها أسباب وقائية لضمان الطهر والعفاف، واستئصال الجريمة من المجتمع.

و يمكن أن نتصور الجذرية كذلك في المواقف الآنية، وهو ما نستشفه من موقف رسول الله ﷺ من الشاب الذي جاءه يستأذنه في الفاحشة، حيث لم يذكر النبي ﷺ الحكم

21-محمد فتحي عثمان:حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، دار الشروق،بيروت، ط:1، 1402هـ/ 1982م، ص: 148

الشرعي، و لم يكتف بمعالجة سطحية لمثل هذا التروع الخطير، ولكنه عمل على التغيير الجذري لقناعة الشاب بما يحسم المشكلة نهائيا.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: **إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ: ادْنُهْ ،فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ "** [22]

فعندما أدرك النبي ﷺ نفسية هذا الشاب اتجاه الفاحشة قدم له علاجا من جنس اهتمامه، حيث بَدَّل من قناعته، وغَيَّر ما بنفسه فتغير موقفه، يقول قاسم شهاب صباح:"إن مهمة تغيير اتجاه الناس ومعتقداتهم يبدأ بمعرفة الحقيقة النفسية لكل فرد، وبالتالي معرفة طريقة الإقناع بالحق ...وتجنيبهم الاضطرابات التي سيمرون بها أثناء انتقالهم من مرحلة جهل وغموض وضياع، إلى مرحلة معرفة وإيمان"[23]

إن التغيير الإسلامي هو تغيير جذري، يعمد إلى تغيير مواقف الناس و اتجاهاتهم من خلال جعل تبديل قناعاتهم وتغيير معتقداتهم منطلقا له.

22- رواه الإمام أحمد في مسنده، كتاب: باقي مسند الأنصار، مسند أبي أمامة الباهلي،رقم:21185.

23- قاسم شهاب صباح:علم النفس النبوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1415هـ/1995م، ص:26.

المطلب الثاني:

تغيير ما بالأنفس أساس تغيير الإنسان والمجتمع

لأجل تجلية فكرة جذرية التغيير الإسلامي على مستوى الإنسان والمجتمع، ارتأينا أن نتناول هذا المطلب في عنصرين اثنين هما :

بناء النفس أساس إصلاح الإنسان.

الإنسان أساس إصلاح المجتمع.

أولا :بناء النفس أساس إصلاح الإنسان

يعتبر الفرد اللبنة الأولى في جدار المجتمع، وأول ما يبدأ به في إصلاح هذا الفرد هو تغيير ما بداخله، بكل ما يحمله من قيم وتصورات وأفكار، ذلك لأن الأصل في السلوك الظاهر أن يكون مظهرا تعبيريا لأحوال النفس وحركتها[24]،وفي ذلك جاء حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه:" **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** "[25] في إشارة منه إلى المحتوى الداخلي للإنسان أو بما بالنفس حسب التعبير القرآني، فتغيير ما بالنفس هو المنطلق في تغيير الإنسان، والأساس لإصلاحه. ويقول الحسن رحمه الله:" ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال "[26]

ويحدد باقر الصدر ما بالنفس **بالوجود الذهني للإنسان، الذي يجسد من ناحية جانبا فكريا وهو الجانب الذي يضم تصورات الهدف،ويمثل من ناحية أخرى الطاقة والإرادة التي تحفز الإنسان إلى هذا الهدف وتنشطه للتحرك نحوه**[27].

في حين يصطلح جودت سعيد على ما بالنفس بقوله:" **إن المراد بما في الأنفس،هو**

24-حسن حبنكة الميداني :الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، ط:2، 1407هـ/1987م، 39/1 .

25-صحيح البخاري:كتاب :الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه ،رقم:50.

26-أبو بكر البيهقي : شعب الإيمان، تحقيق:محمد السعيد بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية، بيروت،ط:1، 1410 هـ/1990م ، باب:ذكر الحديث الذي ورد في شعب الإيمان،رقم:66، 80/1.

27- باقر الصدر :المدرسة القرآنية،ص:140.

الأفكار والمفاهيم والظنون ،في مجالي الشعور و اللاشعور "[28]

ويذكر ماجد عرسان الكيلاني محتوى أوسع لما بالنفس فيقول:"ومحتويات الأنفس ذات معنى واسع يشمل **الأفكار والقيم والثقافة والاتجاهات والعادات والتقاليد، كما يشمل التصور عن المنشأ والكون والحياة والمصير، ويشمل نوع الإرادات النفسية إن كانت تقتصر على إرادات بقاء الجسد البشري ومتطلباته في النكاح والغذاء والكساء والمأوى أم تتعداها إلى إرادات رقي النوع البشري ومتطلباته في الأمن والاحترام والعدل والإحسان**"[29]

و القرآن الكريم لم يهتم بكشف كنه النفس[30]، لأنه على ما يظهر ليس محل جدوى ،**إنما اهتم** بموضوع التعامل مع الأنفس لتغيير ما بها، وبيَّن أنه **أَلْهَمَ** هذه النفس الفجور والتقوى معا كما قال:"**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**"(الشمس:7،8) ثم أنبأ الإنسان أنه بمقدوره أن يتبع أحد الطريقين، وبيَّن له أن الفلاح في تزكية هذه النفس، وأن الخيبة والخذلان في تدسيتها، فقال تعالى: "**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**" (الشمس:9-10)

ومن ثم فقد ارتكزت جهود النبي ﷺ على تغيير هذا المحتوى الداخلي،بإفراغه من المفاهيم والتصورات والقيم الفاسدة، وملئه بالمفاهيم والتصورات والقيم السليمة.

حيث دأب على تهذيب نفوس صحابته وأتباعه وتخليصها من بقايا الجاهلية، وفي المقابل دأب على تربيتهم على الإيمان وما يتطلبه من صبر ومصابرة وثبات، وبذل في نصرة الحق،

28-حودت سعيد:حتى يغيروا ما بأنفسهم،ص:51..

29-ماجد عرسان الكيلاني:هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ/1995م، ص:20

30- يقول الجرجاني :"النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية ،فهي جوهر مشرق للبدن ،فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه ،وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه فثبت أن النوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو الانقطاع الناقص .فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب:الأول إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة ،وإن انقطع ضوءها عن ظاهره دون باطنه فهو النوم أو بالكلية فهو الموت "كتاب التعريفات ،ص:271

دون أي حديث آخر عن الجهاد ورد العدوان، حتى أن أصحابه كانوا يجيئون إليه ما بين مضروب ومشجوج ومجروح يشكون إليه ما أصابهم ومطالبين بحمل السلاح فما كان جوابه لهم إلا ما حكاه القرآن الكريم :" **كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** " (النساء:77) لأن جهاد النفس هو أولى الأولويات، وسبيل ذلك هو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهو مقدم على أي نوع آخر من الجهاد ومواجهة العدو، فما لم يجاهد الإنسان نفسه لفعل المأمورات وترك المنهيات لم يمكنه جهاد عدوه، لذلك قال النبيﷺ :" **الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ** "[31].

وقال المراغي: " أمرهم بكف أيديهم عن القتال ..، وطلب إليهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لما فيها من تهذيب النفوس والعطف والرحمة حتى خمدت في نفوس كثير منهم حمية الجاهلية وحل محلها شريف العواطف الإنسانية إلى أن اشتدت الحاجة إلى القتال للذود عن بيضه الإسلام ودفع العدوان من أولئك المشركين الذين آذوا المسلمين وأحبوا فتنتهم في دينهم وردهم إلى ما كانوا عليه، ففرضه عليهم... "[32].

31-رواه الترمذي في سننه عن عمرو بن مالك الجنبي، كتاب:فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل من مات مرابطا،رقم:1546 قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

32- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، 94/5.

ثانيا: بناء الإنسان أساس إصلاح المجتمع

إذا كان تغيير ما بالنفس هو أساس بناء الإنسان، فإن بناء الإنسان هو أساس إصلاح المجتمع، فجذر كل عمل تغييري أو عمل إصلاحي فعال ومثمر في المجتمع هو الفرد، فالفرد هو المضغة الاجتماعية التي إن صلحت صلح المجتمع كله ، وإن فسدت فسد المجتمع كله، إذ يعد اللبنة الأولى في جدار المجتمع، ومن ثم يعد البدء بإصلاحه مقدمة ضرورية لكل أنواع البناء والإصلاح.

والقرآن الكريم في نظرته الواقعية العميقة لمسألة التغيير،جاء ليوجه أنظارنا إلى هذا القانون، ويشير إلى أن مركز الثقل في أي عمل تاريخي موفق هو الإنسان، ولذلك جاءت التوجيهات الربانية لتصوغ شخصية الإنسان الصالح في مختلف أبعادها، المعرفية والروحية والسلوكية والمنهجية، ، ولتجعل منه أساس إصلاح المجتمع، ومحور الحياة في هذا الوجود.

فالتغيير الإسلامي يقصد بالأساس صناعة الإنسان قبل تغيير المحيط والعمران ، وقبل تأسيس المؤسسات المختلفة في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والإدارة والعسكرية، وسائر ميادين الحياة.

وهذا ما جعل جهود الحركة النبوية تتركز ابتداء على صناعة هذا الإنسان ،بحيث كانت أول مؤسسة تأسست في التاريخ الإسلامي هي مؤسسة تربوية بدار الأرقم لتقوم بعملية إخراج الإنسان المسلم قبل تأسيس أية مؤسسة أخرى.

المطلب الثالث: إصلاح المجتمع أساس التمكين

التمكين هو سيادة الصلاح الشامل الذي يشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية الروحية و الفكرية والاجتماعية والاقتصادية و السياسية و العمرانية و العلمية والتكنولوجية.

والمسلمون عندما استوعب مجتمعهم الأول حقيقة الإسلام، وتناغمت سلوكاتهم ومواقفهم مع مبادئه، انتظمت أمورهم على طريق القوة والانسجام والفعالية والتمكين، وستبقى هذه هي الأسباب الرئيسية للتمكين، والشروط الجوهرية للاستخلاف، كما قال الله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (النور: 55).

وإصلاح المجتمع هو أساس الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والحضاري، فتمكين المجتمع من أبعاد الإصلاح هذه، لا يمكن أن يحصل إلا بتغيير ثقافي عميق، بإصلاح عقلية أفراد المجتمع، وتصويب مفاهيمهم وأفكارهم .

وهذا هو مضمون القانون الإلهي،الذي قال فيه:"إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" (الرعد: 11)، أي إن تغيير أوضاع القوم وشؤونهم المختلفة لا يمكن أن يتم إلا إذا تغير ما بأنفس الأفراد في المجتمع.

وهذا المبدأ هو الذي جعل النبي ﷺ يرفض كل المساومات و الإغراءات التي كان يعرضها عليه قومه ليعدل عن دعوته.

فقد كان مما قالت قريش لرسول الله ﷺ:" **يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك؛ لقد شتمت الآباء وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح قد جئته فيما بيننا وبينك،**

فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا فنحن نُسَوِّدُك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤيا تراه، قد غلب عليك، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك" .

فجاءت إجابته حاسمة قاطعة لرجاء قومه، لقد رفض رسول الله ﷺ أن تغتال دعوته في تغيير سياسي فوقي وقشري وشكلي تنتهي آثاره بذهاب صاحبه، فهي دعوة عقدية تنطلق من تحويل الإنسان والمجتمع من الداخل"[33]

حيث أجابهم: "**ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم** "[34]

لكن الحركات الإسلامية الحديثة لم تستوعب هذا افقه النبوي العميق، الذي يمثل المنهج الرباني في التغيير، الأمر الذي جعلها تعاني من آفة الحرص على الوصول إلى السلطة بشتى الأساليب والطرق، ولربما ما دفعها إلى هذا السلوك بالدرجة الأولى سقوط الكيان السياسي للمسلمين، والمتمثل في الخلافة العثمانية التي كانت رمزا لوحدة معظم بلدان العالم العربي الإسلامي، بالإضافة إلى الظاهرة الاستعمارية التي تقاسم أهلها تركة "الرجل المريض" والتي تركت بعد رحيلها العالم الإسلامي في أقصى حالات التشتت والتمزق السياسي، فكان من البديهي أن تقفز المشكلة السياسية إلى الواجهة، لتستغرق جهود حركات التحرير والحركات الدعوية الإسلامية بعدها[35]في السعي المستمر على خط السلطة والدولة والتخلي عن خط الدعوة والمجتمع.

33-محمد يتيم: العمل الإسلامي والاختيار الحضاري (منشورات حركة الإصلاح والتجديد)، 1409هـ/1989م، ص: 33-34.

34-عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ص: 66 .

35-محمد يتيم: العمل الإسلامي والاختيار الحضاري ص:31-32.

يقول الطيب برغوث:" ويبدو من خلال تقييم هذه التجارب في التغيير، أنه لا مناص من إعطاء الأولوية في العملية التغييرية للتحرك على خط الدعوة والمجتمع، لأن السلطة مهما كانت، ما هي إلا آلة اجتماعية تتغير تبعا للوسط الذي تعيش فيه، وتتنوع معه، فإذا كان الوسط نظيفا حرا، فما تستطيع السلطة أن تواجهه بما ليس فيه، وإذا الوسط كان متسما بالقابلية للاستعمار فلا بد من أن تكون حكومته استعمارية كما يقول مالك بن نبي رحمه الله[36]... فالحركة على خط الدعوة والمجتمع، حركة نحو العمق والشمول والرسوخ والعطاء، بخلاف الحركة نحو السلطة على حساب المجتمع والدعوة فإنها حركة أفقية آنية لا مستقبل لها، لسهولة تحريفها واستغلالها وتمييع وجهتها"[37]

ومن هذا المنطلق يكون لزاما على الحركات التغييرية الإسلامية أن تصحح مفاهيمها، وأن تستوعب الفقه التغييري الصحيح الذي اعتمده النبي ﷺ ، والذي حقق بموجبه أرقى حضارة عرفها التاريخ، هذا التغيير الذي يجعل إصلاح المجتمع منطلقا للوصول إلى التمكين.

36-مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين،دار الفكر،دمشق والجزائر، ط:4، 1407هـ/ 1987م ، ص:40.

37-الطيب برغوث: التغيير الإسلامي خصائصه وضوابطه ، ص:16-17 .

المبحث الثالث :
دواعي النقد الذاتي وأهميته

أقصد بالدواعي الأسباب والاعتبارات التي تجعل حضور النقد الذاتي في أي عمل ضرورة حيوية، ولازمة لا يمكن الاستغناء عنها سواء على مستوى الفرد أو الجماعة.

أما الأهمية فأريد أن أضمنها أثر ودور ممارسة النقد الذاتي في تصويب الأعمال.

المطلب الأول: دواعي النقد الذاتي

وتنقسم إلى قسمين هما: الدواعي الموضوعية، والدواعي الشرعية

أولا: الدواعي الموضوعية للنقد الذاتي

يذكر خالص جلبي في كتابه: في النقد الذاتي (ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية) خمسة عناصر تبرز ضرورة ممارسة النقد الذاتي لتصويب الأعمال الفردية والجماعية[38] .

1- يعتبر النقد الذاتي أحد المكونات الثلاث لأي عمل، فكل عمل يتكون من ثلاث قطاعات أساسية هي : قطاع التصور النظري أو التخطيط، وقطاع التنفيذ والممارسة العملية، وقطاع المراقبة والتقييم والتقويم أي النقد الذاتي وتصويب العمل في ضوئه . فكل عمل إنساني بسيطا كان أو معقدا، فرديا كان أو جماعيا لا ينفك عن هذه المكونات الثلاث، فالنقد الذاتي هو واحدة من هذه المركبات التي لا تنفك عن أي عمل إنساني.

2- النقد الذاتي يعيد ربط النتائج بالأسباب، ويزيل الغموض القائم بين مقدمات الأعمال ونتائجها، فإذا كانت النتائج زهيدة فإن النقد الذاتي هو الذي يبين سبب ذلك، وإذا كانت النتائج مرضية فإن النقد الذاتي هو الذي يبين أسباب ذلك.

فالنقد الذاتي من شأنه بناء العقلية السببية التي تربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات ،هذا من جهة ومن جهة أخرى فهو يحارب العقلية الذرائعية التي تختلق الأسباب

38-خالص جلبي: في النقد الذاتي ،ص:45 وما بعدها .

الواهية للنتائج الزهيدة وتعفي النفس من المسؤولية وتلقي باللائمة على الآخرين. كما أن النقد الذاتي من شأنه أن يقضي على العقلية الخرافية التي لا ترى أن للأعمال أسباب واضحة وقوانين ثابتة تحكمها.

3- النقد الذاتي يخصب جو الحركة ضمن جدلية الزوجية، فالمخلوقات كلها مكونة من ثنائية زوجية كما قال الله تعالى:"**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**" (الذاريات:49) فالزوجية هو شرط الخصوبة والتكاثر الإيجابي في الوجود المادي، وكذلك خصوبة الأفكار فهي لا تحصل إلا ضمن تبادل الآراء بين طرفين أو أكثر، ففي الحوار المفتوح، ولقاء الرأي والرأي الآخر وفي جو النقد الذاتي تتلاقح الأفكار وتنضج الآراء.

4- النقد الذاتي فيه التفات إلى العامل الداخلي الذي يلعب الدور الحاسم في ولادة الأحداث، وفيه تنبيه إلى أن المرض هو بسبب فقدان المناعة ومقاومة الفيروسات، وإلى أن المصيبة إن حدثت هي بسبب ما كسبت أيدي الناس، وإلى أن الاستضعاف سببه هو الضعف الداخلي وليس القهر الخارجي، وإلى أن الاستعمار سببه هو القابلية للاستعمار، وإلى أن سبب سقوط المشاريع والدول والحضارات هو الانهيار الداخلي قبل الاعتداء الخارجي.

فمن السهل أن يرجع الإنسان أسباب المصيبة والهزيمة إلى العدو الخارجي، لكنه من الصعب أن يوجه سهم الاتهام إلى الذات الداخلية، فالنقد الذاتي يساعد الإنسان على مصارحة نفسه والاعتراف بخطئه وقصوره، ويدفعه إلى جهاد نفسه الجهاد الأكبر للقضاء على الضعف واكتساب القوة ، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

5- النقد الذاتي فيه تدريب على طريقة توجيه وقيادة العقل في تكوين الأحكام الصحيحة، فهو يساهم في بناء العقلية المنهجية التي تتميز بالدقة والشمولية والسننية والبصيرة، فالعقل النقدي يمحص الآراء والأخبار والفهم، ولا يقبل منها إلا ما استقام على حجة وبرهان، وهو لا يسير إلا في طريق واضح المعالم، وفي وجهة مدروسة العواقب، بعيدا عن التقليد الأعمى والإمعية وعقلية القطيع.

ثانيا: الدوافع الشرعية للنقد الذاتي

وهي الأوامر الشرعية التي تهيئ الأرضية اللازمة للنقد الذاتي، وتدعو إلى ممارسته، و يمكن أن نحدد ذلك في العناصر التالية:

1- لقد خلق الله تعالى الإنسان من ضعف كما قال:"وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا" (النساء:28)، وضعف الإنسان هذا يشمل الضعف الجسدي والضعف النفسي، وضعف العزيمة والإرادة ،وضعف القدرة على الضبط الدائم تجاه دوافع نفسه وغرائزه وشهواته وأهوائه[39]

كما خلقه أيضا من عجل كما قال الله تعالى:" وكانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا"(الإسراء: 11) ولذلك فهو يستعجل الأشياء قبل أوانها، ويبادر إليها قبل مواقيتها، حتى أنه قد يكره ما هو خير له فيطلب صرفه عن نفسه، ويحب ما هو شر له فيطلبه ويلح في طلبه دون أناة ولا تبصر.

و لذلك نبهنا الله إلى سطحية تقديرات الإنسان وإمكانية وجود الصواب في غيرها، قال تعالى:" وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "(البقرة:216)

إن ضعف الإنسان اتجاه الرغبات الملحة، والاندفاع وراء الأهواء والشهوات واستعجال الأشياء، يجعله عرضة للغفلة والوقوع في الأخطاء المتكررة كما قال ﷺ : " **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ** "[40] أي أن الإنسان كثير الأخطاء مكرر لها نتيجة هذا الضعف الذي يعانيه ،وليس العيب في ارتكاب الخطأ ولكن في الاستمرار فيه والإصرار عليه ،والتوابون هم المراجعون لأعمالهم، المنتقدون لذواتهم والمصححون لأخطائهم والمصوبون

39-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، 370/1.

40- رواه الترمذي في سننه عن أنس،كتاب:صفة القيامة والرقائق والورع،باب:ما جاء في صفة أواني الحوض،رقم:2423 قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة بن قتادة

لمسيراتهم .

2- واعتبارا لذلك فقد دعانا الإسلام إلى التوبة والمراجعة باستمرار،والاستغفار عند الوقوع في الأخطاء والزلات كما قال الله تعالى:"وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "(النور:30).

3-دعا الإسلام إلى استقلال الشخصية والتحرر من عوامل الألفة والتقليد، و نهيه عن الإمعية والذوبان في المجموع قال الرسول ﷺ :" **لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا** " [41]

4- يحث الإسلام الفرد المسلم على إبداء رأيه في وسط الجماعة دون احتقار لقيمته، و يحرره من عقدة الشعور بالنقص والدونية، وفي هذا يقول النبيﷺ :" **لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالًا ثُمَّ لَا يَقُولُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ فَيَقُولُ رَبِّ خَشِيتُ النَّاسَ فَيَقُولُ وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ يُخْشَى** " [42]

5- كما يحث الإسلام أفراد الجماعة على نفي الخبث من وسطها وإنكار المنكر فيها كما قال النبي ﷺ:" **مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** "[43].

يقول عبد الحليم أبو شقة :"إن الجماعة تنجح في إثارة الفرد على الأوضاع الفاسدة في المجتمع الكبير وتجعله متمردا عليها، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر وداعيا إلى الخير. وفي نفس الوقت تضيق على حريته وإرادته داخل الجماعة، وكأنه لا حق له في النقد الذاتي، أي

41-رواه الترمذي في سننه عن حذيفة ،كتاب:البر والصلة،باب: ما جاء في الإحسان والعفو،رقم:1930.قال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

42-رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري،كتاب:باقي مسند المكثرين،رقم:10825.

43-سبق تخريجه.

لا يمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل الجماعة كما يمارسها خارجها.وقد تساعد صور التنظيم والتربية على أن يكون الفرد مستسلما سهل الانقياد.. داخل الجماعة .. ومع المتمردين خارجها ..."[44]

6- يلزم الإسلام الجماعة بمبدأ الشورى والحوار والنقاش في الأمور المشتركة كما قال الله تعالى:" وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ "(الشورى:38)،قال ابن كثير: أي لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم[45].وقال ابن العربي:"الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم إلا هدوا"[46].

وقد تكثر المسائل وتتنوع القضايا المعروضة للشورى مما يلزم المؤسسة الواحدة بضرورة مشاورة أهل الاختصاص كل في مجاله، وخاصة في هذا العصر الذي تشابكت فيه أعصاب الحياة، وتعقدت فيه المصالح وتشعبت، قال ابن خويزمنداد وهو يشير إلى ضرورة مشاورة أهل الاختصاص كل في مجاله:"واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ،ووجوه(القادة والأعيان) الجيش فيما يتعلق بالحرب،ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح،ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها"[47].

ويأمر الله تعالى نبيه الكريمﷺ بمشاورة أصحابه رغم إمكانية استغنائه عن آرائهم فيقول له :"فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ"(آل عمران:159) ليربيهم ويعودهم على مبدأ الشورى في حياتهم،قال الحسن والضحاك في سبب أمر الله للنبي بمشاورة أصحابه:"ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من

44-عبد الحليم أبو شقة:حول أزمة خلق المسلم المعاصر، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، الجزائر، 1409هـ/1989م، ص:34

45-مختصر تفسير ابن كثير،280/3.

46-القرطبي :الجامع لأحكام القرآن،25/16

47-المرجع نفسه ،161/4

الفضل ،ولتقتدي به أمته من بعده"[48]،وكذلك حتى يقتنع الجميع أن الأمر المتشاور فيه هو من صنعهم جميعا، وهو نتيجة إرادتهم الجماعية المشتركة.

7- أمر الإسلام أهله بأداء النصيحة ،كما أمرهم بطلبها وقبولها،فهي حق وواجب في نفس الوقت،قال رسول الله ﷺ:" **الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** "[49]،فمن رأى غيره من إخوانه في موضع يستدعي نصيحته،فمن حقه عليه أن ينصحه في إطار من الاداب الشرعية،فالمؤمن مراة لأخيه يرى فيها معايبه قال رسول الله ﷺ:"**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ** "[50].

فالنصيحة من شأنها أن تشيع بين أفراد الجماعة روح النقد البناء لتصحيح الأخطاء وعدم ترك العيوب تتراكم وتثقل حركة الأفراد والجماعة معا.

8-حث الإسلام على إقامة العدل و أداء الشهادة بالقسط وعدم كتمانها في القضاء وغيره ولو كانت على النفس أو الأقربين كما قال الله تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**"(النساء:135) فكثيرا ما تحتاج الجماعة إلى شهادات أفرادها على موضوع ما، فعليهم أن يؤدوها بأمانة تامة حتى وإن لم يُسألُوها،قال تعالى:" **وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**"(البقرة:283).وقال النبي ﷺ :" **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا** "[51]

48-المرجع نفسه.

49-رواه مسلم في صحيحه عن تميم الداري،كتاب:الإيمان ،باب:بيان أن الدين النصيحة،رقم:82.

50-رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة،كتاب :الأدب ،باب:في النصيحة والحياطة،رقم:4272.

51-رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن خالد الجهني،كتاب:الأقضية،باب:خير الشهود ،رقم:3244

9- لقد حرص الإسلام على أن يتحمل الفرد مسؤولية أعماله الفردية والمشتركة على بصيرة ووعي كما قال الله تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "(يوسف:108) قال ابن كثير:"أمره الله تعالى أن يخبر الناس أن هذه سبيله ،أي طريقته ومسلكه وسنته ..يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ،وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان عقلي وشرعي ." (52)

10- أشاد الإسلام بمن يجهد نفسه بالتدبر والتفكر، ونعى على الذين يعطلون عقولهم ولا يستفيدون من وسائل المعرفة التي وهبها الله لهم، ويحط من قيمة من يفعل ذلك حتى أنه يجعلهم أضل من الأنعام قال تعالى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ "(الأعراف:179). كما شجع الإسلام على الاجتهاد باستمرار في الأمور كلها، قال ﷺ :**"إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"** (53)

52-مختصر تفسير ابن كثير ،265/2

53-رواه البخاري عن عمرو بن العاص: كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب، رقم:6805.

المطلب الثاني: أهمية النقد الذاتي

بعد عرض الأهمية العامة التي تدعو إلى ممارسة النقد الذاتي نتناول في هذا المطلب بعض الجوانب الخاصة لأهمية النقد الذاتي على شكل الفوائد والمصالح التي يجنيها الفرد والجماعة من ممارستهم لعملية النقد الذاتي.

أولا: على المستوى الفردي

إذا داوم الفرد على ممارسة النقد الذاتي في أعماله وأنشطته خاصة وفي مسار حياته عامة فإنه بلا شك سيجني كثيرا من الفوائد التي لا يمكن أن تحصل له الا بالنقد،ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1-التعرف على عيوب شخصيته وجوانب القصور فيها،مما يمكنه من محاصرتها والتخلص منها.يقول محمد الغزالي:"**ما أجمل أن يعيد الإنسان تنظيم نفسه بين الحين والحين، و أن يرسل نظرات ناقدة في جوانبها ليتعرف عيوبها وآفاتها ،وأن يرسم السياسات القصيرة المدى والطويلة المدى ليتخلص من هذه الهانات التي تزري به**"[54]

2- بالنقد الذاتي يمكن أن يتعرف المرء على بعض إيجابيات شخصيته فيعمد إلى تنميتها والمحافظة عليها.

3- وبممارسته أيضا يستطيع الإنسان أن يكتشف أخطاءه التي يمكن أن يقع فيها ،فيتوقف عن السير في الخطأ ولا يتمادى فيه،فخير الخطاءين التوابون.

4- بالنقد الذاتي المتواصل يتفادى الإنسان تكرار الأخطاء السابقة مرة أخرى،كما قال النبي ﷺ:" **لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**"[55].

5- النقد الذاتي يُمَكِّن الإنسان من تحرير نفسه وفكها من عقدة الشعور بالذنب، إذ أن

54-محمد الغزالي:جدد حياتك،دار الصحوة،قسنطينة،الجزائر،ط:3، 1406هـ/1986م، ص:16.

55- رواه البخاري في صحيحه ،عن أبي هريرة،كتاب:الأدب،باب:لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين،وقال معاوية:لاحكيم الا ذو تجربة،رقم:5668.

ألم الشعور بالذنب يقيد الإنسان ويحول دونه ودون العمل الفعال والمثمر، "**فالإحساس بالذنب أو عدم الانسجام الناتج عن سلوكيات وأفعال سابقة أو معاصرة للمرحلة الراهنة قد يمنع الفرد من التكامل مع السياق البنائي الراهن** "[56]

والنبي ﷺ يدعونا إلى عدم تكبيل النفس بما مضى من أخطاء لأن ذلك يصيب الإنسان بالعجز قال ﷺ:"**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِن الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ** "[57].

6- بالنقد الذاتي يراقب المرء علاقته بالله عز وجل،كما قال ابن القيم: " من فوائد محاسبة النفس أنه يعرف بذلك حق الله تعالى، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه وهي قليلة المنفعة جدا"[58].

7- بالنقد الذاتي يتمكن الإنسان من تصويب مسيرة حياته وتخليصها مما علق بها من شوائب وانحراف،ليجدد حياته و ليستأنف مرحلة أخرى منها أكثر نضجا وجدية .

والله تعالى يدعو الإنسان إلى أن يجدد حياته ، بالتوبة من أخطائه مع كل نهار . قال النبي ﷺ :"**إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ** "[59] ،يقول محمد الغزالي تعليقا على هذا الحديث :"في هذه اللحظة يستطيع كل امرئ أن يجدد حياته وأن يعيد بناء نفسه على أشعة من الأمل والتوفيق واليقظة "[60]

56-علي القريشي : التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، ص:237.

57- رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة،كتاب:القدر،باب:في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم: 4816.

58-ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان،71/1

59- رواه مسلم عن أبي هريرة، كتاب:صلاة المسافرين وقصرها،باب: الترغيب في الدعاء والذكر في اخر الليل والإجابة فيه، رقم: 1263.

60-محمد الغزالي:جدد حياتك،ص:18.

8- كما أن النقد الذاتي ينبه الإنسان إلى الواجبات التي يكون قد غفل عن القيام بهـــا، سواء كانت واجبات دينية أو واجبات اجتماعية.

9- بالنقد الذاتي الذي يمارسه الإنسان في الحياة الدنيا يخف عليه حساب اليوم الآخـــر قال النبي ﷺ: "**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَـــا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ**"[61]..قَالَ الترمذي: **وَمَعْنَى قَوْلِهِ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ يَقُولُ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِـــي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**

وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: **حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْـــلَ أَنْ تُحَاسَـــبُوا وَتَزَيَّنُـــوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ،وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْســـــهُ فِـــي الدُّنْيَـــا .وَيُرْوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِـــبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ** "[62].

وقال الحسن البصري:"إن المؤمن قوام على نفسه،يحاسب نفسه لله عز وجل،وإنما خـــف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ،وإنما شق الحساب يوم القيامة علـــى قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة"[63]

61- سبق تخريجه.

62- سبق تخريجه.

63-الآجري أبو بكر: أدب النفوس،ص:28

ثانيا:على المستوى الجماعي

وإذا كان للنقد الذاتي الفردي فوائد كثيرة في حياة الانسان، فإن للتلاوم الجماعي فوائد أخرى كثيرة، مباشرة وغير مباشرة،تفيد الجماعة في أعمالها وأنشطتها، وكذلك في تنمية مواهب أفرادها، ومنها مايلي:

1- يمثل النقد الذاتي الحركة الدافعة للجماعة نحو الإتقان والإجادة في كل ما تقوم به، من خلال عملية التصويب المستمر .

2- يربي الأفراد على حرية التفكير ويعودهم على الإدلاء بآرائهم حين يخلصهم من عقدة الخوف من الخطأ .

3- ينضج النقد الذاتي الجماعي القدرات العقلية والعلمية للأفراد من خلال ما يقومون به في بحثهم عن الحقيقة من الجمع بين المعطيات المختلفة والمقارنة بينها ومقابلة بعضها ببعض ومحاكمة بعضها إلى بعض للخلوص من ذلك إلى الموازنة التي تنتهي بالتمييز.[64]

4- يربي الأفراد على قبول آراء الآخرين ووجهات نظرهم،وعلى التواضع لبعضهم البعض وعدم التعصب للرأي ،كما قال الإمام الشافعي: **رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب**، فيكون بذلك باب الحوار مفتوحا للإفادة من الآراء والتجارب.

5- ممارسة النقد الذاتي تجرد أفراد الجماعة من التعصب للأشخاص ،وتكسبهم معايير سليمة يتم بواسطتها تقييم الأشخاص كما قيل **أعرف الحق تعرف أهله.**

6- النقد الذاتي الجماعي ينبه إلى الأخطاء التي تقع فيها الجماعة في الأعمال والمواقف و السلوكات العامة، فهو الذي يصوب جهدها باستمرار ولا يترك هوة الانحراف تتسع و تتعمق.

7- تعمل الشورى الجماعية على إثارة همة جميع الأفراد لتحمل مسؤولية العمل المشترك،وهذا ما كان يفعله النبيﷺ رغم إمكانية استغنائه عن آراء أصحابه .

64-عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري، 175/2.

يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى:"وشاورهم في الأمر"(آل عمران:159) : "**كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث، تطييبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلون ،كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقالوا له: يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى:اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك، وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون**"[65]

يقول عبد المجيد النجار: "إن شراكة الأفراد في المداولة وإبداء الرأي في أمور الحياة،ثم الانتهاء إلى وجه يكون عليه العزم، من **شأنه أن يشعر الجميع بأنهم من ذوي الشأن والمسؤولية في تصريف الحياة**، وأن الوجه الذي وقع الانتهاء إليه هو وجه شاركوا هم في **صناعته، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، فتنشأ في النفوس الهمة لتنفيذه بإحسان، ورعايته حال التنفيذ بوجوه الملاحظة والرصد لتعديله وتجويده بحيث يحقق المصلحة في أعلى درجتها**". [66]

8- النقد الذاتي الجماعي يعمل على التطهير النفساني للأفراد، ويزيح الكثير من العقد والمعوقات التي تمنع الفرد من الانخراط والاندماج في العمل المشترك كما يقول مالك بن نبي: " النقد الذاتي عامل تطهير نفساني يتكفل باندماج الفرد و مكاملته أخلاقيا في قلب جماعة من المواطنين أو المؤمنين"[67].

9- النقد الذاتي الجماعي يكسب الحركة التغييرية واقعية على مستوى التنظير والممارسة ويمكنها من اكتشاف طرق وأساليب جديدة تواكب التطورات الحاصلة وتساعد على أداء المهام بفعالية وواقعية أكبر.

65-مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، 1/331-332

66-عبد المجيد النجار: المرجع نفسه، ص:61.

67-مالك ابن نبي:تأملات،ص:141-158

المطلب الثالث: مضاعفات غياب النقد الذاتي

إذا كان لحضور النقد الذاتي فوائد جمة في حياة الفرد والجماعة، وفي تفعيل أدائهما و القيام بدورهما،فإن لغيابه مضاعفات خطيرة ونتائج وخيمة، على المستويين الفردي والجماعي، تحول دون بلوغ العمل التغييري النتائج المرجوة منه، ويمكن الإشارة إلى بعض هذه المضاعفات فيما يلي:

أولا: على المستوى الفردي

1-إن غياب النقد الذاتي على المستوى الفردي يلبس على الإنسان ويوقعه في خطر الرضا عن الذات الذي هو أصل كل معصية، فينخدع عن حقيقة نفسه، ولا يرى عيوبه، ولا يسعى بعد ذلك إلى أي إصلاح،كما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة لكن عين السخط تبدي المساويا

ويجعل ابن عطاء الله السكندري في إحدى حكمه الشهيرة داء الرضا عن النفس أصلا لكل انحراف وغي، كما يجعل بالمقابل عدم الرضا عنها أصلا لكل رشاد وفلاح، فيقول: " **أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه**"[68]

2- يؤدي هذا الغياب أيضا إلى تراكم الأخطاء وما يجره ذلك من إصابة للفرد باليأس من أي إصلاح واستحالة العودة إلى الطريق الصحيح، والعجز عن تدارك الأمور والقنوط من رحمة الله فيستمر بذلك في الخطأ وهذا ما يشير إليه الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله :" كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"**(المطففين: 14) " [69]

68-محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، 1990م، ص:152.

69-رواه الترمذي عن أبي هريرة، كتاب: تفسير القرآن، باب:ومن سورة ويل للمطففين،رقم:3257.وقال:هذا حديث حسن صحيح.

4- اضطراب الشخصية الناتج عن تقطع أواصر النفس وتشتت همومها، وغياب نظام ينسق شؤونها، ويركز قواها فتصبح المشاعر والأفكار فرطا، " ذلك أن الكيان العاطفي والعقلي للإنسان قل ما يبقى متماسك اللبنات مع حدة الاحتكاك بصنوف الشهوات وضروب المغريات... فإذا ترك لعوامل الهدم تنال منه فهي آتية عليه لا محالة "[70].

ثانيا: على المستوى الجماعي

إن لغياب النقد الذاتي الجماعي مضاعفات خطيرة جدا سواء على مستوى الأفراد أو الجماعة ككيان أو الأمة بعد ذلك، ومنها ما يلي:

1-تكريس الأخطاء في الجماعة، وتبريرها،وعدم مواجهتها،وأكثر من ذلك توريثها للأجيال، بصورة تجعلها شيئا عاديا ومألوفا ،بل وتجعلها جزءا من سيكولوجية الأفراد والجماعة فتأسرهم،بل وتصبح تتحكم في مواقفهم وتوجه سلوكا تهم.

2-تكريس الرداءة الفكرية، إذ غياب النقد الذاتي يؤدي إلى تكريس الرأي الواحد، ووجهة النظر الواحدة، وفي المقابل إلى تغييب الرأي الآخر، وعندئذ لا يمكن أن يثرى رصيد الأفكار لدى الجماعة أو الأفراد بأفكار أخرى ،لأن خصوبة الأفكار ونضجها لا يمكن أن يحصل إلا بتلاقح الرأي والرأي الآخر.

فغياب المراجعة يحرم الجماعة من فرز ما هو إيجابي مما هو سلبي ضمن منظومة المفاهيم، ولا يسمح للوعي بالانتشار في الجماعة لتخليصها من الفكر الطفيلي المأزوم، ولتحريرها من الكوابح الفكرية والنفسية والاجتماعية التي أثقلت كاهلها وحدت من فعاليتها[71]

3-تكريس الرداءة على مستوى الأداء، أوفقه الإنجاز ، وما ينجر عن ذلك من هدر خطير للإمكان، إذ أن غياب النقد الذاتي يؤدي إلى افتقاد القدرة على توجيه الأداء الجماعي وتطويره، وعلى تحسين الإفادة من الإمكانات المتاحة ،يقول مالك بن نبي في أهمية توجيه الطاقات والإمكانات:"**التوجيه هو قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف، فكم من طاقات وقوى لم تستخدم، لأننا لا نعرف كيف نكتلها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم**

70-محمد الغزالي : جدد حياتك، ص:17.

71-الطيب برغوث: موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي،ص:6-7.

تحقق هدفها،..فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت"[72].

4-تكريس ظاهرة "الاستئناف" أو البداية الصفرية المزمنة في الجهد البنـــائي للأمـــة ،إذ أن غياب النقد الذاتي يحول دون إمكانية تصفية الجهد السابق، وفرز الإيجابي منه من السلبي، وإعـــداد أرضية الانطلاق للجهد اللاحق من أجل الاستدراك ومتابعة البناء ، مما يحول دون إمكانية حـدوث التراكم الذي هو أساس كل بناء حضاري."[73].

5-كما أن غياب النقد الذاتي الجماعي يطرح صعوبة تحقيق الوحـــدة الأخلاقيـــة والإرادة الجماعية التي تكامل بين أفراد الجماعة وتجعلهم قادرين على الانسجام وتحقيـــق العمـــل البنـــائي المشترك المطلوب منهم.

6-إن غياب الشورى الجماعية في أعمال وأنشطة الجماعة يجعل الأفراد غير مبالين بـــالآراء و الاقتراحات التي تعرضها الجماعة للتنفيذ، ذلك لأنهم لم يشاركوا هم في صناعتها بل كانت منزلـــة عليهم من أعلى، فتؤول في الواقع إلى البوار حتى وإن كانت في ذاتها حقا وصوابا.

7- كما أن غياب النقد الذاتي الجماعي يجعل الجماعة عرضة لتنكب الطريق والانحراف عـــن المسار، وبالتالي عرضة للعقاب كما يصور ذلك قول النبي ﷺ في حديثه عن الأمر بالمعروف والنـــهي عن المنكر :" **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشـــكن اللـــه أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب**"[74]

8-كما أن غيابه أيضا يؤدي إلى الاستبداد، وإلى إعجاب كل ذي رأي برأيـــه، فتختلـــف القلوب،وتضعف الروابط، وتبدأ النزاعات بين الأفراد والفئات، ويتصدع البناء الداخلي للجماعـــة ويقع الفشل بعد ذلك، قال تعـــالى:" **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**" (الأنفال:46)

72-مالك بن نبي: شروط النهضة،ص:84.

73-الطيب برغوث: المرجع السابق،ص:06.

74-رواه الترمذي في سننه عن حذيفة بن اليمان،كتاب: الفتن،باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،رقم:2095 وقال: هذا حديث حسن.

الفصل الثاني:

مؤيدات النقد الذاتي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: مؤيدات النقد الذاتي

المبحث الأول: مؤيدات من منهج نزول القرآن الكريم

المطلب الأول: منهج نزول القرآن الكريم

المطلب الثاني: بين العقيدة والشريعة

المطلب الثالث: بين بناء الذات والمواجهة

المبحث الثاني: مؤيدات من نصوص الوحي

المطلب الأول: النصوص التي تدعوا إلى النقد الذاتي

المطلب الثاني: النصوص التي تبين دور العوامل الداخلية في التغيير

المبحث الثالث: مؤيدات من سيرة الأنبياء –عليهم السلام–

المطلب الأول:مؤيدات من سيرة النبي محمدﷺ

المطلب الثاني: مؤيدات من سيرة الأنبياء السابقين

المبحث الرابع: مؤيدات من سيرة الصحابةرضي الله عنهم

المطلب الأول: ممارستهم للنقد الذاتي

المطلب الثاني: تأسيس الإدارة على روح النقد

المطلب الثالث: دعوة المجتمع لممارسة وظيفة النقد الذاتي

المبحث الخامس: مؤيدات من الفكر الإسلامي

المطلب الأول: محاسبة النفس

المطلب الثاني: التوبة والاستغفار

المطلب الثالث: مراتب الجهاد

المطلب الرابع: الجرح والتعديل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : مؤيدات النقد الذاتي

بعدما بينا مفهوم النقد الذاتي وأهميته في العمل التغييري و مستوياته وموضوعه وكذا مضاعفات غيابه ،نورد في هذا الفصل بعض المؤيدات التي تؤكد أولوية اعتبار العوامل الداخلية، و أصالة فكرة النقد الذاتي وأنه جزء من المنهج الإسلامي عموما و الدعوة الإسلامية خصوصا.

وقد اخترت لذلك خمسة محاور أساسية هي:

مؤيد من منهج نزول القرآن الكريم

مؤيد من نصوص من الكتاب والسنة

مؤيد من مواقف الرسول ﷺ ووقائع السيرة النبوية

مؤيد من بعض أقوال ومواقف الصحابة رضوان الله عليهم.

مؤيد من بعض إسهامات الفكر الإسلامي في التربية والدعوة والتغيير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

مؤيدات من منهج نزول القرآن الكريم

ونقصد بمنهج نزول القرآن ، الطريقة التي تنزل بها، حيث سبق نزول آيات العقيدة نزول آيات الأحكام وهو ما اشتهر بالقرآن المكي والمدني، وكذلك تدرج منهجه في بناء المجتمع والدولة، حيث سبقت فترةُ بناء الإنسان ، فترةَ مواجهة التحديات الخارجية المتمثلة في القوى المناوئة من المشركين والكفار .

ونقتصر هنا على ذكر مثالين اثنين هما : بين العقيدة والشريعة .

بين بناء الذات والمواجهة.

المطلب الأول : منهج نزول القرآن الكريم

نبدأ أولا بتبيان منهج نزول القرآن الكريم، فالقرآن لم يأت إلى حياة الناس دفعة واحدة، ولكن نزل مفرقا ،كما قال الله تعالى:﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ (الإسراء:106)، قال ابن عباس:نزل القرآن إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في ثلاثة وعشرين سنة على الأرجح، وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء"[1].

قال السيوطي:و هو الأصح والأشهر"[2].وقال ابن حجر في فتح الباري في شرح صحيح البخاري: "و هو الأصح المعتمد"[3].

فالقرآن الكريم تنزل وفق إرادة الله سبحانه وتعالى كما قال الله تعالى : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

1- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، 53/1 وما بعدها بتصرف.

2- المرجع نفسه ، ص: 53.

3- المرجع نفسه، ص: 54.

تَنزِيلًا﴾ (الإسراء:105-106). كما نزل وفق علم الله وحكمته عز وجل كما قال تعالى أيضا: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف:52).

فإرادة الله وعنايته بكيفية وتوقيت تنزل القرآن واضحة من خلال الآيات السابقة.

فما دام الله عز وجل هو الخالق للناس والعليم والخبير بشؤونهم، فقد اختار لهم منهجا ملائما لفطرتهم ومحققا للمقاصد التي جاء القرآن لأجلها.

فمنهج نزول القرآن إذن هو التفريق والتنجيم، حتى يتحمله الناس على تدرج وتؤدة وفق قدرتهم وطاقتهم التي فطرهم الله عليها. وقد بيّن الله عز وجل بعض مقاصد هذا المنهج في معرض الرد على الذين كفروا حين اقترحوا طريقة أخرى لتنزيل القرآن إفكا وعنادا، وهي طريقة التنزيل جملة واحدة. حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان:32،33)

والملاحظ في آيات القرآن أن لفظ الإنزال هو غير لفظ التنزيل،فالأول يستعمل للنزول الكلي للقرآن ،بينما يستعمل اللفظ الثاني للنزول المفرق والمنجم .يقول الفيروزآبادي: "والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة ،أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله مفرقا ومنجما ومرة بعد أخرى،والإنزال عام"[4]

ولقد أجمل الزرقاني حِكَم نزول القرآن منجما في أربعة عناصر هي:

1-تثبيت فؤاد الرسول وذلك عبر تجدد الوحي وتكرار نزوله وتيسير حفظه ومعرفة أحكامه

2- التدرج في تربية الأمة الناشئة علما وعملا.

3- مسايرة الحوادث والطوارئ في الأسئلة و الأقضية والوقائع.

4-الفيروزآبادي :بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، المكتبة العلمية ،بيروت،40/5.

4-الإرشاد إلى أن القرآن كلام الله وحده ولا يمكن أن يكون كلام بشر[5].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، 54/1 وما بعدها، بتصرف.

المطلب الثاني: بين العقيدة والشريعة

إن القرآن الكريم نزل ليخاطب نفوسا بشرية،وليخرج منها أمة مسلمة، الشيء الذي يستدعي التدرج في عملية تغيير الأوضاع الجاهلية،التي تبتدئ من توطين النفوس على العقيدة الصافية والفكر السليم، كما قال الله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)، ثم يأتي تغيير بقية الأوضاع تبعا لذلك.

فتغيير النفوس هي المهمة الأولى التي ينطلق منها الوحي للوصول إلى إخراج أمة الإسلام، ولذلك جاء الوحي متدرجا في التغيير ،ومنطلقا من الأنفس لأنها هي مرتكز التغيير، يقول مالك بن نبي: **"لو أن القرآن كان قد نزل جملة واحدة لتحول سريعا إلى كلمة مقدسة خامدة وإلى فكرة ميتة، وإلى مجرد وثيقة دينية، لا مصدرا يبعث الحياة في حضارة وليدة"**[6].

إمهمة تغيير النفوس ليست مهمة سهلة ممهدة، فهي مهمة تحتاج إلى منهاج تدرجي تكاملي وتراكمي، ومهمة تحتاج إلى زمن طويل كاف لإحداث التغيير.

وقد ذكر الزرقاني أن من حكم تنجيم القرآن الكريم التدرج في تربية الأمة الناشئة علما وعملا، ثم شرح هذه الحكمة فقال:" وينضوي تحت هذا الإجمال أمور خمسة هي:

1- تيسير حفظ القرآن الكريم... ولو أنزل جملة واحدة لعجزوا عن حفظه.

2- تسهيل فهمه عليهم.

3- التمهيد لكمال تخليهم عن عقائدهم الباطلة وعباداتهم الفاسدة، وعاداتهم المرذولة.

4- التمهيد لكمال تحليهم بالعقائد الحقة والعبادات الصحيحة والأخلاق الفاضلة.

5- تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين"[7].

و يقول سيد قطب، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

6- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ص: 175.

7- الزرقاني: مناهل الفرقان، ص: 57-58، بتصرف.

جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: 32-33)،"لقد جاء هذا القرآن ليربي أمة و ينشئ مجتمعا، ويقيم نظاما، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثر وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثر والانفعال إلى واقع ، والنفس البشرية لا تتحول تحولا كاملا شاملا بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد ، إنما تتأثر يوما بعد يوم بطرف من هذا المنهج، وتتدرج في مراقيه رويدا رويدا، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئا فشيئا،فلا تجفل منه كما لو قُدِّم لها ضخما ثقيلا عسيرا.

ولقد جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها ، وجاء في الوقت ذاته بمنهاج للتربية يوافق الفطرة البشرية عن علم بها من خالقها. فجاء لذلك منجما وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة، ...فجاء لِيُنفَّذ حرفا حرفا وكلمة كلمة، وتكليفا تكليفا. من أجل هذا كله نزل القرآن مفصلا، رتلا بعد رتل وجزءا بعد جزء، ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان: 33)، والترتيل هنا هو التتابع والتوالي وفق حكمة الله وعلمه بحاجات تلك القلوب واستعدادها للتلقي"[8].

وإذا لاحظنا تاريخ نزول القرآن، وجدنا أن الله –عز وجل- لم يشرع الأحكام إلا بعدما تغيرت أنفس الناس واهتدت إلى الحق، حيث سبقت آياتُ العقيدة آياتَ الأحكام العملية في ترتيب النزول. لأن الأحكام العملية لا جدوى من تشريعها ما لم تتهيأ الأنفس لِتَقَبُّلِها وتَنفيذها، فما معنى الحرام أو الواجب عند من لم يفهم معناهما و لم يعي قيمتهما، و لم يقدر مصدرهما، و لم يعلم جزاءهما .

فمنظومة العقيدة هي المرتكز الذي تنبني عليه منظومة الشريعة في أحكامها وتوجيهاتها، فلقد كان القرآن الكريم بادئ ذي بدء يتناول أصول الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار والإيمان بالنبيين والكتب والقضاء والقدر خيره وشره، ويقيم على

8- سيد قطب: في ظلال القرآن، 2562/5، 2563.

ذلك الحجج والبراهين المنطقية، وكان يأمر بكليات محاسن الأخلاق وينهي عن الفحشاء والمنكر، حتى إذا حفّت منابع الشر في النفوس وأينعت فيها منابع الإيمان وحب الخير، نزلت الأحكام الشرعية العملية لتجد نفوس المؤمنين مهيأة ومستعدة لتقبلها وتنفيذها... وهذا ما يلخصه قول عائشة –رضي الله عنها–"**إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا**"[9].

فالرجوع إلى النفس لتغييرها و العودة إلى الذات لبنائها هو أساس أي إنجاز ذا بال،وهذا مؤيد هام من مؤيدات النقد الذاتي.

9- البخاري:الصحيح ،كتاب :فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن ،رقم :4609 .

المطلب الثالث : بين بناء الذات والمواجهة .

لم يكن القتال من أول الإسلام واجبا مفروضا على أمة الإسلام، بل كان يُعَدُّ في العهد المكي من الدعوة خيارا مستبعدا، وأمرا محظورا لا يجوز للمسلمين أن يقاتلوا أعداءهم حتى للدفاع عن أنفسهم، على الرغم من شدة الاعتداء عليهم والإيذاء لهم.

وكل الذي أُمِرُوا به في الفترة المكية هو أن يجاهدوا جهاد الحجة والبيان واللسان والقران، كما قال تعالى: ﴿وجاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 52).

كما أمرهم الله تعالى بكف الأيدي وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (النساء: 77).

وهذه الآية هي آية مدنية ولكنها تُصَوِّرُ واقعا كان في مكة، وتُقَرِّرُ حُكْمًا كان بالفترة المكية، وهو منع القتال والاعتداء، لأن واقع حال الجماعة المسلمة في تلك الفترة غير مناسب للقيام بمثل هذه المواجهات. وبالمقابل فرض إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة التي من شأنها أن توطن النفوس وتصلحها.

ثم جاءت الفترة المدنية من الدعوة الإسلامية ،حيث تغيرت الأوضاع وأصبحت للمسلمين دولة، فقويت شوكتهم واتسعت رقعتهم، جاءت هذه المرحلة الجديدة في حياة الدعوة الإسلامية ليأذن الله تعالى فيها للمسلمين بالقتال، كما في قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج:39)،ذكر ابن كثير نقلا عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف أن:"هذه أول آية نزلت في الجهاد...وقال ابن عباس في قوله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وقد فعل ،وإنما شرع تعالى **الجهاد في الوقت الأليق به،لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا ،فلو أمر المسلمون وهم أقل بقتال الباقين لشق عليهم...فلما استقروا بالمدينة وصارت لهم دار إسلام، ومعقلا يلجئون**

إليه، شرع الله جهاد الأعداء..."[10].

ثم كانت المرحلة الثالثة و التي فرض الله تعالى فيها القتال على المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة:190)، يقول القرطبي معلقا على هذه الآية" هذه أول آية نزلت في الأمر بالقتال، ولا خلاف أن القتال كان محظورا قبل الهجرة "[11]

فتشريع القتال تدرج عبر ثلاث مراحل ،فقد انتقل من الحظر في مكة إلى الإذن فيه في بداية الفترة المدنية، وبعد ذلك من الإذن فيه إلى فرضه على المؤمنين.

ولعل السبب العام في تحريم القتال بمكة وعدم فرضه إلا في المدينة هو انتظار استكمال بناء الذات الجماعية التي تقدر على مواجهة القوى المضادة عسكريا وسياسيا واجتماعيا،أي رعاية واقع الجماعة المسلمة من كل الجوانب ومدى قدرتها على المواجهة.

أما الأسباب التفصيلية-فيما نحسب- لتحريم القتال في الفترة المكية، فمنها أسباب تربوية، ومنها أسباب اجتماعية، ومنها أسباب تاريخية، ومنها أسباب ترجع إلى حال الجماعة المسلمة وظروفها من حيث القدرة والإمكان.

فلعل تحريم القتال في الفترة المكية يرجع إلى أسباب تاريخية، حيث أن الإسلام أراد أن يستأصل التناحر القبلي ذي الأسباب الجاهلية من نفوس العرب و المسلمين، ليعيد بناء فكرة الجهاد على أسسها الشرعية السليمة، وبمعاييرها الصحيحة.

يقول المراغي: "ذكر هنا أن الإسلام كلّفهم ترك ما كانوا عليه في الجاهلية من تخاصم وتلاحم وحروب مستمرة، ولا سيما بين قبيلتي الأوس والخزرج، فإن الحروب بينهم لم تنقطع إلا بمجيء الإسلام، وأمرهم بكف أيديهم عن القتال والعدوان على غيرهم، وطلب إليهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لما فيها من تهذيب النفوس والعطف والرحمة حتى حمدت في

10-مختصر تفسير ابن كثير،547/2.

11-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 1/ 208

نفوس كثير منهم حمية الجاهلية، وحل محلها شريف العواطف الإنسانية إلى أن اشتدت الحاجة إلى القتال للذود عن بيضه الإسلام، ودفع العدوان من أولئك المشركين الذين اذوا المسلمين وأحبوا فتنتهم في دينهم وردهم إلى ما كانوا عليه، ففرضه عليهم... "[12].

فاعتبار الواقع التاريخي سبب مباشر في منع القتال في الفترة المكية المتصلة زمنيا بالفترة التي سبقت مجيء الإسلام، "ذلك أنهم كانوا من قبل ذوي إِحَنٍ وأحقاد وتخاصم وحروب مستمرة، فلما جاء الإسلام أحبوا أن يكتب عليهم القتال ليسيروا على ما تعودوه"[13]، ولكن الله عز وجل يعلم ما يصلح لهم، فحرم القتال عليهم،ولو شرع القتال في هذه الفترة لكان سببا في زيادة العناد والثارات الدموية الجديدة، ولارتبطت هذه الثارات في أذهانهم وذكرياتهم بالإسلام، فلا تهدأ بعد ذلك أبدا، ويتحول الإسلام من دعوة شريفة إلى ثارات ودحول تنسى معها فكرته الأساسية.

ولعل تحريم القتال في الفترة المكية يرجع إلى أسباب تربوية، ليتربى الفرد المسلم على الصبر على الضيم يقع على شخصه وعلى من يلوذون به... وليتربى على ضبط أعصابه فلا يندفع لأول مؤثر –كما هي طبيعته– ولا يتهيج لأول مهيج، ليتم الاعتدال في طبيعته وحركته، وليتربى أيضا على أن يتبع مجتمعا منظما له قيادة يرجع إليها، فينشأ بذلك المجتمع الإسلامي المنظم، وليس المجتمع الفوضوي أو الهمجي أو القبلي.

ولعل تحريم القتال في الفترة المكية يرجع إلى أسباب اجتماعية، اجتنابا لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم، إنما كان ذلك موكولا إلى أولياء كل فرد، يعذبونه هم ويفتنونه و"يؤدبونه"، ومعنى الإذن بالقتال –في مثل هذه البيئة– أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت، ثم يقال هذا هو الإسلام.

ولعل لتحريم القتال في الفترة المكية أسباب ترجع إلى حال الجماعة المسلمة؛ لقلة عدد

12- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، 94/5

13- المرجع نفسه، 95/5

المسلمين حينذاك وانحصارهم في مكة، وقصور عددهم وإمكاناتهم[14] بالمقارنة مع عدد عدوهم وعددهم، وكونهم في بلد حرام.

ولعل لذلك أسباب ترجع إلى الواقع السياسي، ذلك أن المسلمين لم تقم لهم دولة بعد في الفترة المكية، بل كانوا أفرادا في تنظيم النبي ﷺ وقد مر بمرحلة سرية ثم بمرحلة أخرى جهرية، لكن لم يقووا على تحدى القوى الموجودة ومقارعتها.

فكل هذه الاعتبارات –فيما نحسب– كانت بعض ما اقتضت حكمة الله أن يأمر المسلمين بكف أيديهم عن القتال والاعتداء وفي المقابل أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة التي تربي الإنسان على الانتصار على نفسه قبل الانتصار على أعدائه.

فالمواجهة المباشرة للأعداء بالقوة والسلاح لا يمكن أن تحصل إلا بعد استكمال استحكام لبنات الذات الداخلية وسد الثغرات فيها،وبعد التمكن من بناء القدرات الذاتية،وامتلاك أدوات المواجهة .

وهذا مؤيد هام من مؤيدات النقد الذاتي، إذ النظر يتجه دائما إلى الذات الداخلية، ومحاولة مراجعتها للوقوف على ثغراتها ونقائصها،وتثمين إيجابياتها وإمكانياتها.

14- سيد قطب: في ظلال القرآن، 714/2 وما بعدها .

المبحث الثاني : مؤيدات من نصوص الوحي

إن الوحي الشريف كتابا وسنة يزخر بعدد هائل من النصوص التي تؤيد فكرة النقد الذاتي، سواء النصوص التي تدعو إلى النقد الذاتي، أو النصوص التي تبين دور العوامل الداخلية في التغيير، سواء التي تؤكد أهمية العودة إلى الذات وتغييرها ليحصل التغيير الخارجي نحو الأفضل، أو النصوص التي تبين دور الذات الداخلية في حصول المصائب ووقوع الأزمات، ولقد اخترت لذلك عددا من النماذج .

المطلب الأول: النصوص التي تدعو إلى النقد الذاتي

أولا: النصوص التي تتحدث عن المراجعة

يحتوي القرآن الكريم على مادة هامة تتحدث عن ضرورة مراجعة النفس بعد المصيبة والابتلاء بهدف اكتشاف أسباب المصيبة ، وأخذ الدرس والعبرة، ومن هذه النصوص :

1-قوله تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: 168)

أي امتحناهم بالخيرات والسيئات لعلهم يراجعون أنفسهم، وينتقدون ذواتهم وما نتج عنها من تصرفات اتجاه هذا الابتلاء ،فيكتشفون انحرافهم فيتوبون مما هم فيه.

يقول رشيد رضا:"أي امتحناهم وبلونا سرائرهم واستعداداتهم بالنعم التي تحسن وتقر بها الأعين، وبالنقم التي تسوء صاحبها، وربما حسنت بالصبر والإنابة عواقبها، رجاء أن يرجعوا عن ذنبهم وينيبوا إلى ربهم، فيعود برحمته وفضله عليهم"[15]

2-ومنها أيضا قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(الروم: 41) .

فهذه الآية تبين أن الفساد الاجتماعي والمادي إنما كان بسبب ما اقترفه الناس من منكرات، فيذيقهم الله جزءا من العذاب الدنيوي بسبب انحرافهم لعلهم ينتبهون ويراجعون

15-محمد رشيد رضا:تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، دار المعرفة بيروت،ط:9،382/2.

أنفسهم فيستغفرون ربهم ويتوبون مما هم فيه .

ومعنى"**ليذيقهم**" :" أي إن الله يقدر أسبابه تقديرا خاصا ليجازي من يغضب عليهم على سوء أفعالهم ،وأما "**لعلهم يرجعون**" فلفظ لعلّ يشير إلى أن ما ظهر من فساد كاف لإقلاعهم عما هم اكتسبوه، وأن حالهم حال من يرجى رجوعه.. والرجوع مستعار للإقلاع عن المعاصي، كأن الذي عصى ربه عبد أبقَ عن سيده ثم رجع "[16]

3-ومنها أيضا قوله تعالى : ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ (السجدة:21)، وكذلك هذه الآية تبين أن المقصد من إذاقة الناس ألوانا من العذاب، هو رجاء رجوعهم إلى أنفسهم ومحاسبتها، وعدم تركها في غيها ورذائلها .

فهذه الآيات وغيرها تبين وجوب المراجعة والعودة إلى الذات لمحاسبتها ونقدها وإلجامها عن رغباتها التي هي سبب العذاب والفتنة.

قال ابن عاشور: العذاب الأدنى هو عذاب الدنيا، و"لعلهم يرجعون" استئناف بياني لحكمة إذاقتهم العذاب الأدنى في الدنيا لرجاء رجوعهم ، أي رجوعهم عن الكفر بالإيمان، والمراد رجوع من يمكن رجوعهم وهم الأحياء"[17]

وإذا كانت هذه النصوص توجب المراجعة على الناس أفرادا وجماعات، فبالمقابل هناك نصوص أخرى تحرم الغفلة عن الذات (فردية كانت أو جماعية)، والرضا على النفس، كما قال تعالى:﴿ **وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾ (الأنبياء : 95) ،أي حرام ولا يجوز لبقية أهل القرية الذين أهلكناهم وعذبناهم بالمصائب ،أنهم لا يرجعون على ما هم فيه و لا يتوبون من معاصيهم وسيئاتهم .

16-محمد الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر تونس،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،ط:1984 م 112/21.

17-المرجع نفسه،233/21.

ثانيا: النصوص التي تتحدث عن التلاوم

ويحتوي القرآن الكريم كذلك على نصوص تبين أهمية التلاوم الفردي و الجماعي والمعاتبة المتبادلة لاكتشاف أسباب المصائب،ومنها ما يلي:

1- قوله تعالى في قصة أصحاب الجنة:

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ (القلم:17-32) .

فأصحاب الجنة أخطأوا، وبادر أوسطهم بالنقد الذاتي للجماعة، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتعاتبون، واعترفوا بأنهم كانوا مخطئين وظالمين .

2-ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة:2)

النفس اللوامة هي الكثيرة اللوم والعتاب ،قال الجرجاني:"هي التي تنورت بنور القلب، قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها"[18].

وقال مجاهد:هي التي تلوم نفسها على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لِمَ فعلته،وعلى الخير لِمَ لا تستكثر منه.وقال الفراء: ليس من نفسٍ محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها، فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحسانا، والمسيء يلوم نفسه ألا ترعوي عن إساءته، وقال القرطبي:وهي صفة مدح، أي لا أقسم بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول :ما أردت بكذا؟، فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه.[19].

وقال ابن القيم عن النفس اللوامة:"هي التي لامت نفسها في طاعة الله، واحتملت ملام اللائمين في مرضاته، فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من

18-الجرجاني: كتاب التعريفات، ص:243

19-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن،19/92-93

رضيت بأعمالها و لم تلم نفسها و لم تحتمل في الله ملام اللُّوام، فهي التي يلومها الله عز وجل"[20]

ومن النصوص التي ورد فيها ذكر اللوم قول الله تعالى في الحديث القدسي:" **يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ** "[21]

ثالثا: النصوص التي تدعو إلى التوبة والاستغفار

فكثيرة هي النصوص التي تدعو إلى الاستغفار والتوبة بعد الوقوع في الأخطاء والسيئات وهذا بعد المحاسبة ونقد الذات، لأن التوبة لا تكون إلا بعد معرفة الخطأ ومعرفة الخطأ لا تكون إلا بالمراجعة والمحاسبة .

التوبة: هي الرجوع والإنابة،يقال تاب فلان أي رجع عن ذنبه فهو تائب"[22] أما التوبة شرعا فهي كما عرفها الشيخ الأنصاري:" الرجوع إلى صراط الله المستقيم بعد الانحراف"[23]،وهي عكس الإصرار على الذنب والجريمة، ومن هذا المنطلق عرفها علماء الأخلاق بأنها ترك المعاصي في الحال والعزم على الابتعاد عنها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في حق الله وحقوق الآخرين "[24]

ومن هذه النصوص :

1- قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾(آل عمران:135) ،قيل أن الفاحشة هي المعصية الكبيرة، وظلم النفس هو الكبيرة مطلقا، وقيل الفاحشة هي الكبيرة

20-ابن القيم: الروح، ص:226

21-رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر،كتاب:البر والصلة والآداب،باب:تحريم الظلم، رقم:4674.

22-المعجم الوسيط، مادة: تاب.

23-مهدي الفتلاوي: التوبة والتائبون، ص:89.

24-المرجع السابق، ص:90.

المتعدية إلى الغير، وظلم النفس الكبيرة القاصرة على النفس. والذكر في قوله تعالى:"ذكروا الله" ذكر القلب، وهو ذكر ما يجب لله على عبده ، وما أوصاه به ،وهو الذي يتفرع عنه طلب المغفرة، وأما ذكر اللسان فلا يترتب عليه ذلك، ومعنى ذكر الله هنا ذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده.

والاستغفار هو طلب الغفر، أي الستر للذنوب، وهو مجاز في عدم المؤاخذة على الذنب[25] وعندما علم هؤلاء بالخطأ بعد نقد الذات لم يصروا على الخطأ بل استغفروا لذنبهم وتابوا إلى الله .

ومنها قوله أيضا : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام 54)

فالله تعالى فرض الرحمة على نفسه بخبره الصادق، ومن بين صور رحمته الواسعة، رحمتُه بعباده الذين يسيئون عن غير قصد، ثم يرجعون إليه معترفين بخطئهم، فإنه وعدهم بالمغفرة والرحمة.

25-ابن عاشور: المرجع السابق، 92/4.

المطلب الثاني:

النصوص التي تبين دور العوامل الداخلية في التغيير

أولا: النصوص التي تتحدث عن التغيير

1- ومنها قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد :11)، هذه الآية تبين أن ما بالقوم من أوضاع لا يمكن أن تتغير إلا إذا غير أفراد القوم ما بأنفسهم، فالآية تربط بين تغييرين على شكل قانون أحدهما مقدمة والآخر نتيجة فتغيير الأنفس هو أساس تغيير المجتمع، وبيَّن مالك بن نبي هذه الفكرة بقوله :" **إن التغيير النفسي هو الذي يستهل حياة المجتمع، وهو أيضا الشرط النفسي لكل تغيير اجتماعي** "[26]؛ **لأن العامل النفسي يسبق العامل الاجتماعي ويتحكم به**[27] .

فالتغيير الأساس هو تغيير ما بأنفس القوم والتغيير المترتب هو تغيير حالة القوم النوعية والتاريخية والاجتماعية [28]

2-ومنها قوله تعالى : " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأنفال:53)،يقول صاحب تفسير المنار:"أي لم يكن شأنه تعالى ولا مقتضى سننه العامة في خلقه أن يغير نعمة ما أنعمها على قوم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الأحوال التي استحقوا بها تلك النعمة" [29] .

فنعم الله تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداء ودواما بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الأشياء لاصقة بأنفسهم متمكنة فيها كانت تلك النعم ثابتة بثباتها حسب سنة الله تعالى العامة في خلقه، فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد

26-مالك بن نبي : ميلاد مجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية)، ص:79.

27-مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص:156.

28-محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية، ص: 142 .

29- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، 36/10.

المطلب الثاني:

النصوص التي تبين دور العوامل الداخلية في التغيير

أولا: النصوص التي تتحدث عن التغيير

1- ومنها قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد :11)، هذه الآية تبين أن ما بالقوم من أوضاع لا يمكن أن تتغير إلا إذا غير أفراد القوم ما بأنفسهم، فالآية تربط بين تغييرين على شكل قانون أحدهما مقدمة والآخر نتيجة فتغيير الأنفس هو أساس تغيير المجتمع، وبيَّن مالك بن نبي هذه الفكرة بقوله :" **إن التغيير النفسي هو الذي يستهل حياة المجتمع، وهو أيضا الشرط النفسي لكل تغيير اجتماعي** "[26]؛ **لأن العامل النفسي يسبق العامل الاجتماعي ويتحكم به**[27] .

فالتغيير الأساس هو تغيير ما بأنفس القوم والتغيير المترتب هو تغيير حالة القوم النوعية والتاريخية والاجتماعية [28]

2-ومنها قوله تعالى : " ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأنفال:53)،يقول صاحب تفسير المنار:"أي لم يكن شأنه تعالى ولا مقتضى سننه العامة في خلقه أن يغير نعمة ما أنعمها على قوم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الأحوال التي استحقوا بها تلك النعمة" [29] .

فنعم الله تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداء ودواما بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الأشياء لاصقة بأنفسهم متمكنة فيها كانت تلك النعم ثابتة بثباتها حسب سنة الله تعالى العامة في خلقه، فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد

26-مالك بن نبي : ميلاد مجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية)، ص:79.

27-مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص:156.

28-محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية، ص: 142 .

29- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، 36/10.

ثانيا: النصوص التي تتحدث عن أسباب المصائب

هناك عدد من النصوص التي تتحدث عن المصائب التي تصيب الناس في حياتهم،حيث تؤكد هذه النصوص أن أسباب هذه المصائب هي النفس الإنسانية وما اقترفت من أخطاء ومعاصي ومن هذه النصوص:

1- قول الله تعالى:﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (الشورى:30) يقول ابن كثير :"أي وما أصابكم أيها الناس من مصيبة من مصائب الدنيا كالمرض وسائر النكبات والأحوال المكروهة نحو الآلام والأسقام والقحط والغرق وأشباهها، فإنما كان بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها[32].

وقال ابن تيمية :"ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب"[33]

فهذا الخطاب يعمل على تنبيه الناس كما يقول ابن عاشور:" إلى أن ما أصابهم من ذلك البؤس هو جزاء على ما اقترفوه من الشرك تنبيها يبعثهم ويبعث الأمة على أن يلاحظوا أحوالهم نحو امتثال رضى خالقهم ومحاسبة أنفسهم .

والباء للسببية ،أي سبب ما أصابكم من مصيبة هو أعمالكم، والمصيبة:اسم للحادثة التي تصيب بضُرٍّ ومكروه"[34]

2- منها أيضا قوله تعالى : " أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "(آل عمران:165)،

نزلت هذه الآية بعد غزوة أحد ،حيث انهزم المسلمون بسبب عصيانهم لأوامر الرسول ﷺ،وبسبب تنازعهم الناتج عن اندفاع بعضهم إلى الغنائم قبل انتهاء المعركة،يقول ابن

32-ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، 4/806

33-ابن تيمية:رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ص31.

34-ابن عاشور:المرجع السابق، 25/98-99.

عاشور:" أي إن الله قدير على نصركم وعلى خذلانكم، فلما عصيتم وجررتم لأنفسكم الغضب قَدَّرَ الله لكم الخذلان"[35]

3- ومنها قوله تعالى: " مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا"(النساء:79)يقول صاحب التحرير والتنوير:"أما السيئة فإنها وإن كانت تأتي بتأثير الله تعالى، ولكن إصابة معظمها الإنسان يأتي من جهله أو تفريطه أو سوء نظره في العواقب أو تغليب هواه على رشده.

فلا جرم كان الحظ الأعظم في إصابة السيئة الإنسان لتسببه مباشرة أو بواسطة، فصح أن يسند تسببها إليه . وفي الحديث قال رسول الله ﷺ:" **لَا يُصِيبُ عَبْدًا نَكْبَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أَوْ دُونَهَا إِلَّا بِذَنْبٍ وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ قَالَ وَقَرَأَ :(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)**" [36]

35-ابن عاشور:المرجع السابق، 161/4.

36- رواه الترمذي عن أبي بردة، كتاب: تفسير القرآن، باب:ومن سورة حم عسق، رقم:9175. قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ثالثا: النصوص التي تتحدث عن علاقة الوحدة الداخلية بالقوة الخارجية

1- ومنها قول الله تعالى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ "(الأنفال:46) يقول رشيد رضا: "فإن الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل وهو الخيبة و النكول على إمضاء الأمر.وتذهب ريحكم أي تذهب قوتكم وترتخي أعصاب شدتكم، فيظهر عدوكم عليكم"[37] كما حدث في غزوة أحد، فالنهي واقع على أسباب الفشل وذهاب القوة، وهو التنازع والاختلاف بسبب الهوى وأطماع النفس.

فهذه سنة اجتماعية مضمونها هو أن التنازع الداخلي هو سبب مباشر في ذهاب القوة الخارجية، كما أن وحدة الصف والانسجام الداخلي يوفران المناعة والقوة الخارجية، والوحدة عامل داخلي هام من شأنه أن يصنع الانتصار والنجاح في المواجهات المختلفة .

2- ومنها قوله تعالى : "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا " (آل عمران:103)، أوجب الله تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادا وعملا، وذلك هو سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات، الذي تتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف وأمر بالاجتماع، ونهي عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين[38].

37- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م، 25/10.

38- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن،

رابعا: النصوص التي تتحدث عن علاقة النفس بوسوسة الشيطان

لقد درج القرآن الكريم في كثير من نصوصه على توضيح موقع الشيطان في حياة الإنسان، وأنه لا يعدو من كونه مجرد مخلوق باستطاعته أن يوسوس في صدر الإنسان، ويُزَيِّنُ له ارتكاب الخطيئة، ثم إن الإنسان هو الذي يرتكب الخطيئة بإرادته، ويعتبر مسؤولا عنها مسؤولية تامة، والشاهد هنا هو أن الشيطان يمكن أن نعتبره عاملا خارجيا كما يمكن أن نعتبر النفس عاملا داخليا، وأن تأثير العامل الخارجي لا يمكن أن يحصل إلا إذا توفرت القابلية في العامل الداخلي.

فالله تعالى يؤكد أن الشيطان ليس له سلطان على الناس إلا على من كان متهيئا لذلك: حيث قال: "إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا"(الإسراء: 65) ،وقال أيضا: "إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ"(الحجر :42).

فمن ظاهر النصوص يتبين أن الله تبارك وتعالى لم يجعل للشيطان سلطانا على الإنسان، وإنما جعل سلطانه على الذين يسلمون له قيادة أنفسهم ويتبعونه، مختارين لأنفسهم طريق الغواية والضلال.

وحتى الشيطان يعلن أنه ليس بإمكانه إغواء المخلصين من عباد الله: "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"(ص:82-83)،

"قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"(الحجر:39-40)

فوظيفة الشيطان في حياة الإنسان تتلخص في الوسوسة في صدره وأن ليس له القدرة على أكثر من ذلك، فكيد الشيطان في الإضلال كيد ضعيف وبذلك وصفه الله تعالى في قوله

: " إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا" (النساء:76).

والخلاصة: هي أن الشيطان-كعامل خارجي- ليس له سلطان على الناس، وليس له تأثير على توجيه حياتهم ، إلا على من كانت أنفسهم -كعوامل داخلية- مستعدة ومهيأة لتقبل وساوسه وإغوائه، لذلك لا بد أن يتوجه اللوم إلى النفس الأمارة بالسوء والتي تشكل السبب الأصلي في الانحراف والفساد.

والشيطان نفسه سيعلن هذه الحقيقة يوم القيامة للذين استجابوا لوساوسه في الحياة الدنيا، كما ورد ذلك في قوله تعالى: " وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. "(إبراهيم :22)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث:

مؤيدات من سيرة الأنبياء عليهم السلام

ونضمنه نماذج من حياته ﷺ في المطلب الأول تؤكد أهمية النقد والمراجعة والمحاسبة، ونجمع في المطلب الثاني مجموعة من صور المحاسبة في حياة بعض الأنبياء عليهم السلام.

يقول ابن تيمية:"الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الإقرار على الذنوب كبارها وصغارها، وهم بما أخبر الله تعالى عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وليست التوبة نقصا بل هي من أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق فغاية كل مؤمن هي التوبة، ثم التوبة تتنوع، كما يقال: حسنات لأبرار سيئات المقربين"[39].

المطلب الأول: مؤيد من سيرة النبي ﷺ

أولا: حرصه ﷺ على التوبة والاستغفار

لقد تكررت دعوة النبي ﷺ لأمته بضرورة التزامهم لمبدأ المحاسبة والتوبة باستمرار، فقد كان ﷺ يدعو المؤمنين إلى الإكثار من التوبة،ذلك أن الغلط مركوز في طبيعة الإنسان وهو في حاجة إلى توبة متجددة ومتكررة، تمسح عنه الأكدار وتمحو عنه آثار المعصية، ويشير ﷺ إلى أنه كان يجدد توبته إلى الله بين لحظة وأخرى ليعطي القدوة من نفسه، فلقد ورد عن ابْن عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ** "[40].

فالنبي ﷺ رغم عصمته يشير في هذا الحديث إلى أنه لم يكن أبدا ليرضى عن نفسه، أو يركن إلى عمله.

39-ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 51/15.

40-رواه مسلم عن ابن عمر، كتاب:الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب:استحباب الاستغفار والاستكثار منه،رقم: 4871.

ولكن يجب علينا هنا من أن ننبه إلى فكرة أساسية،وهي أن أخطاء الأنبياء عليهم السلام ليست كأخطاء بقية الناس، فسيئات الأبرار حسنات المقربين.

يقول محمد الغزالي:إن حياة الأنبياء عليهم السلام كانت تحلق في مستوى من الكمال لا تهبط عنه أبدا... ولقد قرر علماء المسلمين بأن العصمة لرسل الله كافة، إذ لا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها، كما لا تصدر من أحدهم صغيرة تخل بالمروءة أو تسقط الاعتبار، وقد تقع منهم أخطاء يعاتبون من الله عليها، ولكن هذه الأخطاء لا تتصل بأمور اعتقاديه أو خُلقية مما يُعدّ الوقوع فيها أمرا شائنا.

وقد يَعْتَبِرُ الأنبياءُ أَنْفُسَهُمْ مقصرين في حق الله تعالى، لأنهم أعرف الناس به وبجلال ذاته وعظمة حقوقه على عباده، وبقصور الهمم مهما بذلت عن الوفاء بما ينبغي له، وهم يعدون ذلك ذنوبا تتطلب الاستغفار، ومن ثم فليس استغفار الأنبياء عن مثل ما نقارف من خطايا وما نرتكب من سيئات"[41].

ثانيا: تسديد الوحي له ﷺ

ولقد كان الوحي الشريف يسدد النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، ولا يتركه يستقر على خطأ أبدا، ويبدو هذا الأمر جليا وواضحا في الكثير من الآيات القرآنية.

من ذلك مثلا قوله تعالى: "يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (التحريم:1) هذه الآية يعاتب الله تعالى فيها نبيه الكريم على امتناعه عن تناول العسل بعد الذي حدث له مع زوجاته، كما ورد عن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ :" **كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ قَالَ لَا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ**

41- محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار القلم، دمشق، ط:10، 1420هـ/1999م، ص:188-189 .

وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا"[42].

وفي سورة الأحزاب يعاتب الله تعالى النبي الكريم حينما أخفى ما أخبره به الله تعالى من طلاق زينب بنت جحش وزواجه بها،قال تعالى: "**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**" (الأحزاب:37)، ذلك أن الله تعالى قد أوحى إلى نبيه ﷺ أن زيدا سيطلق زينب، وأنه سيتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول اللهﷺ على وجه الأدب والوصية:"**اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك**"وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها؛ وخشي رسول اللهﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، **فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من خشيته الناس في شيء قد أباحه الله له، بأن قال" أمسك"وأعلمه أن الله أحق بالخشية** [43]

وفي سورة "عبس" عاتب الله تعالى النبي ﷺ في شأن الرجل الأعمى والفقير ابن أم مكتوم (وهو ممن أسلم قديما) الذي جاءه يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، فأعرض عنه وعبس في وجهه، لانشغاله بمجموعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام ويتألفهم، وقد لقي منهم مؤانسة حتى طمع في إسلامهم، وخاف أن يكون التفاته لذلك المسكين منفرا لقلوب أولئك الأشراف[44] ، فنزل القرآن يعاتب النبي ﷺ : "**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنْ**

42-صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن الكريم،باب:يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم،رقم:4531 .

43 وهذا الرأي للباقي: المرجع السابق،43/22.

44-عفيف عبد الفتاح طبارة: مع الأنبياء في القرآن الكريم،دار العلم للملايين، بيروت، ط:13، 1984م، ص:360.

اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى "(عبس:1-10)

وغيرها من الآيات التي نزلت تسدد الرسول ﷺ وترده الى طريق الحق والصواب.

ثالثا:اعتماده ﷺ على تغيير ما بالأنفس

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ: **ادْنُهْ** ،فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟** قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ** قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**، قَالَ: **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟** قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**، قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ** فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ "[45]

رابعا: التزامه ﷺ بالشورى

ولقد كان الرسول ﷺكثير المشورة لأصحابه فيما هو اجتهاد بشري في الشؤون المختلفة، باعتبار أن الشورى هي تبادل للآراء داخل الجماعة لبلوغ أحسن الآراء وأصوب المواقف والقرارات، ذلك أن الله تعالى أمره بالشورى، فقال: "**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**"(آل عمران:159)، فعَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ"[46] ، ورغم أنه ﷺ كان مسددا بالوحي فقد كان ملتزما بثمرات الشورى،بل كان يقول

45- رواه الإمام أحمد في مسنده، كتاب: باقي مسند الأنصار، مسند أبي أمامة الباهلي،رقم:21185.

46- رواه الترمذي في سننه، كتاب:الجهاد، باب:ما جاء في المشورة، رقم:1636.

لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا: لَوِ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا"[47].

وجعل الشورى أمانة في عنق المستشار فقال ﷺ : الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ"[48]، وأمره بإجابة المستشير فقال:"إِذَا اسْتَشَارَ أَحدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ"[49]

خامسا: مراجعته ﷺ للأعمال وللمواقف

كما كان ﷺ يراجع أعماله وأعمال رفقائه من المسلمين، ومثال ذلك مراجعته ﷺ للموقف العام عقب الانهزام في غزوة حنين، التي أنزل الله تعالى فيها قرآنا يبين الخلل وسبب الانهزام،فقال الله تعالى : " لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ " (التوبة:25). وأمام تولي المسلمين وفرارهم من المعركة، وما كان لنبي الله ﷺ أن يكون من الفارين، بل وقف يراجع الموقف ويتأمل سبب الهزيمة،ليعيد الكرة فيما بعد.

قال محمد الغزالي:"ووقف النبي ﷺ ساكن الجأش يدير الرأي في خطة ينقذ بها سمعة الإسلام ومستقبله، وقد أحاط به لفيف من المهاجرين الأولين ومن أهل بيته، فأمر العباس بن عبد المطلب -وكان جهير الصوت- أن ينادي يا معشر الأنصار، يا أصحاب البيعة يوم الحديبية...لقد هداه الحق أن يهتف بأصحاب العقائد ورجال الفداء عند الصدام فهم وحدهم الذين تنجح بهم الرسالات وتفرج الكروب، أما هذا الغثاء من العوام الحراص على الدنيا، السعاة إلى المغانم، فما يقوم بهم أمر، أو تثبت بهم قدم ...واجتمع حول رسول الله عدد من الرجال الذين دعاهم، وهم يصيحون: لبيك لبيك، حتى قارب القوم مائة، فاستقبل بهم النبي ﷺ المشركين ، وقد ملك زمام الموقف وأعاد الكرة عليهم..."[50]

47-رواه الامام أحمد في مسنده،مسند: الشاميين،رقم:17309.

48- رواه ابن ماجة في سننه، كتاب: الأدب، باب: المستشار مؤتمن، رقم3735.

49- رواه ابن ماجة في سننه، كتاب: الأدب، باب: المستشار مؤتمن، رقم3737.

50- محمد الغزالي: فقه السيرة، دار رحاب، الجزائر، ط:1407هـ/1987م، ص: 389-390 بتصرف.

المطلب الثاني: مؤيد من سيرة الأنبياء السابقين

أولا: آدم عليه السلام يعترف بظلم نفسه بعد الخطأ

إن أول قصة تعرض في القرآن الكريم هي قصة آدم والشيطان، وهي تحدد موقف كل واحد منهما مما لحق به.

إن الفرق الحاسم الذي فتح طريق الخير للإنسان هو موقف آدم الصحيح من المشكلة التي حدثت حين اعترف من خلال عملية النقد الذاتي، بأن ما أصابه كان من نفسه فنطق هو وزوجه بلسان واحد :" قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (الأعراف: 23) . إن هذا الاعتراف بظلم النفس هو انطلاق من العالم الداخلي ... وهو موقف كبير وصحيح، يعبر عن نضج النفس الإنسانية.

بينما الذي فتح باب اللعنة على إبليس هو عدم الاعتراف بخطئه، ونسبه سبب الغواية الى الله عز وجل؛ "قال فبما أغويني لأقعدن لهم صراطك المستقيم"(الأعراف:16)

فآدم يقول بعد مراجعة نفسه إنني ظلمت نفسي، والشيطان لا يراجع وينسب الغواية الى غيره، الأول استحق رحمة الله، والثاني حلت به اللعنة الأبدية.

إن قاعدة الاعتراف بظلم النفس أبرزت نماذج بشرية تشبعت بهذه الروح ومنها:

ثانيا: موسى عليه السلام يعترف بظلم نفسه

حيث نجده يرتكب خطأ فيقتل نفسا بغير حق دون قصد منه للقتل، ويندم بعد ذلك على هذا الفعل، فيلجأ إلى الله بالدعاء والاستغفار ويقول: " قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (القصص: 16).قال المفسرون:ندم موسى عليه السلام على ذلك الوكز...وقال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له، وحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه، قال قتادة: عرف والله المخرج

فاستغفر؛ ثم لم يزل عليه السلام يعدد ذلك على نفسه، مع علمه بأنه قد غفر له"[51]

ثالثا: يونس عليه السلام يعترف أنه كان من الظالمين

حين ابتلاه الله تعالى بالتقام الحوت له ،عندما خرج من القرية"نينوى" التي أرسل فيها مغاضبا لقومه بسبب عصيانهم وإصرارهم على الكفر، حيث خرج دون إذن ربه له، وفي عمق الابتلاء ومحنة الظلمات يدعو يونس عليه السلام ربه ويعترف بخطئه" **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**"(الأنبياء:87)

رابعا:داوود عليه السلام يمدح بوصفه أوابًا

أي كثير التوبة والرجوع إلى الله، حتى صار وصفا ملازما له "**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**" (ص:17).وفي قصة قضائه بين الشريكين المتخاصمين في أمر النعاج تبدو أوبته، إذ وبعد أن تسورا عليه المحراب وأفزعاه، وبعد سماعه لدعوى الطرف الأول، وإعطائه الحق له دون أن يتثبت ويستمع للطرف الثاني، انتبه إلى أنه قد أخطأ فبادر إلى التوبة والاستغفار، "**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**"(ص:24،25)؛ أي وعلم داود وأيقن أنما اختبرناه بهذه الواقعة، وهي تعرضه للاغتيال ثم نجاته منه فاستغفر ربه لذنبه وهو سوء ظنه بالخصمين، وأنهما أتيا لاغتياله، وهو الأصح، أو أنه حكم بين الخصمين في النعاج قبل أن يسمع بينة الخصم الآخر، وكان الحق له، وخر ساجدا-وعبر بالركوع عن السجود-ورجع إلى الله بالتوبة من ذنبه[52]

51-وهبة الزحيلي:المرجع السابق، 20/77-78.

52-المرجع نفسه:23/186-187.

المبحث الرابع: مؤيدات من سير الصحابة ﷺ

لقد دأب الصحابة ﷺ بعد أن تولوا مقاليد الخلافة على التزام مبدأ نقد ذواتهم، وحثهم للرعية على ضرورة ممارستهم للنقد الجماعي،وهذا ما يمكننا أن نلمسه من خلال النماذج التالية:

المطلب الأول: ممارسة الصحابة للنقد الذاتي

فهذا **أبو بكر الصديق** ﷺ تزخر حياته بمواقف كثيرة جدا، تنبئ عن مدى محاسبته لنفسه، ومراجعته لذاته ولأعماله، ووقوفه عند حدود الله تعالى، والتراجع عن كل ما قد يتبين له عدم صوابه ويمكننا هنا أن نورد موقفين:

أولهما وهو الموقف الذي ترويه عنه ابنته السيدة عائشة رضي الله عنها إذ تقول: **كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟، قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ**"[53]

وثانيهما وهو الذي يبين لنا اعترافه المستمر بالتقصير رغم كل ما يبذله من جهد حتى أن النبيﷺ مدحه بقوله:" **ما لأحد عندنا من يد إلا وقد كافأناه بها، ماخلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط مثلما نفعني مال أبي بكر، ومـا عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة عدا أبي بكر فإنه لم يتلعثم**" [54] رغم هذه المكانة العالية التي تصدرها إلا أنه ﷺ لم يكن ليغتر بنفسه ولا ليرضى عنها رغم مدح المادحين له، بل لقد كان عارفا بذاته مدركا لها، موقنا بأن الرضى يمنع من كمال التفتيش، فما كان منه بعد ذلك إذا ألقيت عليه كلمة ثناء إلا أن يردد ابتهاله المأثور:"**اللهم اجعلني**

53-رواه البخاري ، كتاب: المناقب، باب: أيام الجاهلية، رقم: 3554.

54-محمد خالد: خلفاء الرسول، دار ثابت، القاهرة، دار الفكر دمشق، ط: 1، 1415هـ/1994م، ص56

خيرا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون".[55]

و لم يكن **عمر الفاروق** ﷺ ليختلف في منهجه عما كان عليه أبوا بكر، بل لقد كان دائم المحاسبة لنفسه على كل ما قد يبدر منه من عمل، أو ما يصدر عنه من موقف ولو تعلق الأمر بعامة الناس، وهذا ما نلمسه في القصة التي يرويها الأحنف بن قيس حيث يقول: "كنت مع عمر بن الخطاب، فَلَقِيَهُ رجل فقال: **"يا أمير المؤمنين،انطلق معي فأعدِني على فلان فقد ظلمني"**، فرفع عمر درته وخفق بها رأس الرجل وقال له: **"تَدَعُونَ أمير المؤمنين وهو مُعَرَّض لكم مقبل عليكم، حتى إذا شُغِلَ بأمر من أمور المسلمين أتيتموه، أعدني، أعدني،..."**، فانصرف الرجل غضبان أسفا، فقال عمر: **"عليَّ بالرجل"**، فلما عاد، ناوله مخفقته وقال : **"خذ واقتص مني"**.

قال الرجل : **"لا والله، ولكني أدعها لله"**، وانصرف، وعدت مع عمر إلى بيته فصلى ركعتين ثم جلس يحاسب نفسه ويقول: **"ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله وكنت ذليلا فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس، فجاءك رجل يستعديك فضربته، فماذا تقول لربك غدا إذا أتيته؟"**[56].

لم يكن **عثمان بن عفان** ﷺ وهو ثالث الخلفاء الراشدين ليحيد على منهج سابقيه، وهو الذي بايع على التزام كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر، فلقد التزم مبدأ محاسبته لنفسه في ما يصدر عنه من تصرفات، والوقوف عند حدود الله، وتراجعه عن المواقف التي يتبين له خطؤها، ولو تعلق الأمر بمجرد خادم وهذا ما نلمسه في الموقف الذي صدر عنه تجاه أحد خدامه ؛ فنجده يغضب على خادم له يوما فيعرك أذنه حتى يوجعه، ثم يراجع نفسه ويعتقد الخطأ في موقفه فيدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيعرك أذنه، ويأبى الخادم ويولي مدبرا، لكن عثمان يأمره في حزم فيطيع:" **اشدد يا غلام فإن قصاص الدنيا أرحم من**

55- خلد محمد خالد: المرجع السابق، ص: 110.

56- المرجع نفسه ، ص: 135.

قصاص الآخرة "

لم يكن نهج **علي بن أبي طالب** ﷺ ببعيد عن نهج سابقيه من الخلفاء في محاسبته لنفسه، والتزامه مبدأ النقد الذاتي وعدم الرضى عن النفس، وإحكام الرقابة عليها، مهما أثني عليه، فنجده ﷺ لما ولي أمر المسلمين، وصار لهم خليفة كان مما تكرر من أقواله: "أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان..؟ والله لو شئت لكان لي من صَفْوِ هذا العسل، ولباب هذا البر، ومناعم هذه الثياب، ولكن هيهات أن يغلبني الهوى، فأبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حَرَّى""[57]. لقد انتهج مبدأ محاسبته لنفسه قبل يوم الحساب.

57- خلد محمد خالد: المرجع السابق، ص: 110.

المطلب الثالث: دعوة الصحابة للمجتمع لممارسة النقد

لم يكن الصحابة ﷺ ليكتفوا بنقدهم لذواتهم، بل لقد التزموا مبدأ دعـــوة الرعيـــة إلى ممارسة النقد، سواء تعلق الأمر بالخاصة من العمال، أو عامة الناس

فهذا **أبوا بكر الصديق** ﷺ وهو أول خليفة لرسول الله ﷺ نجده و في اللحظـلت الأولى لخلافته يقف في الناس خطيبا، يشجعهم على النقد الذاتي ويدعوهم إلى أن يلتزموا الحق حيث كانوا، فيقول: "**أيها الناس، إني وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فـأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، ألا إن الضعيف فيكم قوي عندي،حتى آخذ الحق لـــه، وألا إن القـــوي فيكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت فـلا طاعة لي عليكم**"[58].

وهذا **عمر بن الخطاب** ﷺ وهو صاحب المقولة المشهورة:"**رحم الله امرؤا أهـــدى إلي عيوبي**"، لا يكاد يلي الأمر ، ويتسمع همس الناس حول شدته وصرامته حتى يخلـــو بنفســـه مفكرا ، ويدخل عليه حذيفة فيجده مهموم النفس باكي العين، فيسأله : ماذا يا أمير المؤمنين ؟؟ فيجيب عمر :"**إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تعظيما لي**"، يقـــول حذيفـــة، فقلت له:"**والله لو رأيناك خرجت عن الحق لرددناك إليـــه**"، فيفـــرح عمـــر ويستبشـــر ويقول:"**الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقومونني إذا اعوججت**"[59].

ونجده في موقف آخر، إذ يصعد المنبر يوما فيقول:" يا معشر المسلمين ماذا تقولون لـــو مِلْتُ برأسي إلى الدنيا هكذا..؟؟"، فيشق الصفوف رجل ويقول وهو يُلوِّحُ بذراعه كأنّـــها حسام ممشوق، إذن نقول بالسيف هكذا. فيسأله عمر:إياي تعني بقولك؟، فيجيب الرجـــل: نعم إياك أعني بقولي، فتضيء الفرحة وجه عمر ويقول :"**رحمك الله..والحمد لله الذي جعـــل**

58- خالد محمد خالد: المرجع السابق، ص:89

59- المرجع نفسه، ص: 189.

فيكم من يقوم عوجي"[60].

وفي يوم من الأيام يدور حوار بينه وبين واحد من رعيته، ويتمسك الآخر برأيه، ويقول لأمير المؤمنين: اتق الله يا عمر..ويكررها مرات كثيرة، ويزجره أحد الأصحاب الجالسين قائلا: صَهْ، فقد أكثرت على أمير المؤمنين، ولكن أمير المؤمنين يقول له:" **دعه، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها** "[61]

و لم يكن ﷺ يشجع عامة الناس لممارسة النقد، بل لقد كان رضي الله عنه يأمر خاصة عماله بذلك، وهذا ما نستشفه من مضمون رسالته إلى أبي موسى الأشعري والتي يدعوه فيها إلى ضرورة المراجعة والرجوع إلى الحق بعد تبينه، ومما جاء فيها: "ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهُديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء، واعم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل" [62]

ونفس المبدأ التزمه **عثمان بن عفان** ﷺ في تشجيع الرعية على ممارسة النقد وهذا ما نلمسه في مضامين خطبه التي كان يتوجه بها للرعية، والتي يحثهم فيها على ضرورة محاسبتهم لأنفسهم، ومن ذلك قوله:"**أيها الناس، اتقوا الله فإن تقوى الله غنم، وإن أَكْيَسَ الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورا لقبره، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيرا** " وقد وصل به الحد في تشجيعهم إلى أن يقول لهم إحدى مقولاته التاريخية:"**إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رِجْلَيَّ في قُيُودٍ فضعوهما**" إنه ومن خلال هذه المقولة يحث المسلمين على ضرورة ممارستهم للنقد الذاتي من خلال متابعة ما يصدر عنه و محاكمته إلى القرآن

كما نجده ﷺ يلتزم مبدأ النقد الذاتي الجماعي، وهذا بالولاء للحق لا للأشخاص ويتضح ذلك جليا في مراجعته ﷺ لموقف صدر عن الخليفة عمر في مسألة العطاء للمسلمين من بيت

60-خالد محمد خالد: المرجع السابق .

61- المرجع نفسه، ص: 135.

62- محمد الغزالي:مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ،دار القلم دمشق، الطبعة:3، 1419هـ/1998م، ص:207

المال، حيث لما ولي الخلافة عمر ﷺ جعل للسابقين الأولين أكثر مما يأخذ الذين تأخر إسلامهم ، وقال في ذلك قولته المأثورة "لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه" يشير بهذا إلى أنه لا يسوي في العطاء بين الذين التفوا حول الرسول مبكرين ، وقاتلوا معه من أول يوم، وبين الذين طالما قاتلوه وهم كفار، ثم صاروا فيما بعد من المسلمين. ولكن الإمام علي ﷺ كان أميل إلى نهج أبي بكر الصديق، وهو أن يعطي جميع الصحابة و المسلمين بالسوية، دون تفريق بين من سبق إلى الإسلام، ومن جاء متأخرا، مفسرا رأيه بأن الدولة لا تعطي المسلمين مثوبة دينهم ومن إيمانهم، فمثوبة الدين والإيمان عند الله..إنما تعطيهم حاجتهم ليعيشوا، ومن ثم فلا داعي التفضيل بينهم.

وهذا **علي ابن أبي طالب** ﷺ يتبع نفس المنهج في تحفيزه للأمة على ممارسة حق النقد الجماعي، وهذا بعدم الخوف في الله لومة لائم، وممارسة مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، و لم يترك هذا الأمر حتى في اللحظات الأخيرة من حياته ، حيث دعا بنيه، وعلى رأسهم الحسن رضي الله عنهم أجمعين وراح يملي لهم وصيته :"**أوصيكم بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون....لا تخافن في الله لومة لائم...لا تدعوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله تعالى..**" (63)

63-خالد محمد خالد: المرجع السابق ص:400 وما بعدها.

المبحث السادس: مؤيدات من الفكر الإسلامي

نريد أن نضمن هذا المبحث عددا من النظريات من مجالات العلوم المختلفة التي أنتجها علماء الإسلام على مر التاريخ، والتي تبين دور النقد الذاتي في العمل الفردي والجماعي، ونكتفي بأربعة منها وهي : المحاسبة، التوبة، مراتب الجهاد، الجرح والتعديل.

المطلب الأول: محاسبة النفس

احتلت فضيلة محاسبة النفس مكانة هامة في كتب التربية والتزكية القديمة والحديثة، حتى لا يكاد كتاب في التربية والأخلاق يخلو منها، ولقد جعلها ابن القيم إحدى المنازل المهمة في كتابه الشهير " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين "، وهذا لأهميتها الخطيرة في حياة الفرد والجماعة، و لتظافر النصوص من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح على ضرورتها.

ولقد جعل ابن القيم للمحاسبة **ثلاثة أركان أساسية**[63] هي :

1 -**أن تقايس بين نعمة الله وجنايتك**، حيث يظهر لك التفاوت الكبير، وأن تقايس بين الحسنات والسيئات لتعلم أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة.

2-**معرفة ما لك وما عليك**: وهي أن تميز بين ما للحق عليك من وجوب العبودية والتزام الطاعة، واجتناب المعصية، وبين ما لك وهو المباح الشرعي، فأدي ما عليك يؤتك ما لك.

3-**أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهي عليك**، وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك.

كما جعل لها **ثلاثة شروط** هي:

1- **نور الحكمة** :وهو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والضار والنافع، والكامل والناقص، والخير والشر، ويبصر به مراتب الأعمال، راجحها

63-ابن القيم: مدارج السالكين، 198/1 وما بعدها.

ومرجوحها، ومقبولها ومردودها، وكلما كان حظه من هذا النور أقوى، كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم.

2- **سوء الظن بالنفس:** فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويلبس عليه، فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالا، فإن المحب يرى مساوئ محبوبه وعيوبه كذلك.

فعين الرضا عن كل عيب كليل كما أن عين السخط تبدى المساويا

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه.

3- **التمييز بين النعمة والفتنة** : فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان واللطف، ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية، وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج، فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه.

فإذا كملت هذه الثلاثة فيه عرف حينئذ أن ما كان من نعم الله عليه بجمعه على الله فهو نعمة حقيقة. وما فرقه عنه منه فهو البلاء في صورة النعمة، والمحنة في صورة المنحة، فليحذر إنما هو مستدرج، ويميز بذلك أيضا بين المنة والحجة، فكم تلتبس إحداهما عليه بالأخرى.

فإن العبد بين منة من الله عليه، وحجة منه عليه، ولا ينفك عنهما، وذلك قول الله تعالى "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ" (آل عمران: 164)، وقوله : "بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ" (الحجرات:17)، وقوله: "فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ" (الأعراف: 149) وكل قوة ظاهرة وباطنة صحبها تنفيذ لمرضاته وأوامره فهي منة، وإلا فهي حجة.

المطلب الثاني: التوبة والاستغفار

وكذلك احتل خلق التوبة مكانة هامة في كتب التربية والتزكية القديمة والحديثة أيضا، حتى لا يكاد يخلو كتاب في التربية والأخلاق منه، والتوبة هي رجوع العبد إلى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم، وهي لا تصح إلا بعد معرفة الذنب والاعتراف به،وطلب التخلص من سوء عواقبه أولا و آخرا قال تعالى:"**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ...**"(آل عمران:135) .

قال الله تعالى : " **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** " (النور: 30).و عن ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ** "[64]

ويمكن للنفس أن تندفع إلى التوبة إذا نظرت **إلى الذنب من أربعة جوانب:**

1-إلى انخلاعها من عصمة الله لها عند إتيانها للذنب، فإن العبد لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الطاعة، والخذلان هو أن يكلك الله إلى نفسك ويخلي بينك وبينها، والتوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك.

2-إلى فرحها عند الظفر به، فالفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيه، والجهل بقدر من عصاه،والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها، وفرحها به أشد ضررا عليها من مواقعتها له.

3-وأن تنظر إلى قعودك على الإصرار عن تداركه ، والإصرار هو الاستقرار على المخالفة والعزم على المعاودة، وذلك ذنب آخر لعله أعظم من الذنب الأول بكثير، والإصرار هو عقوبة على الذنب إذ يوجب ذنبا أكبر منه.

4- وأشد من هذا كله، المجاهرة بالذنب مع تيقنها نظر الحق إليها، والمجاهر دائر بين

64-رواه مسلم عن ابن عمر،كتاب:الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب:استحباب الاستغفار والاستكثار منه،رقم: 4871.

أمرين : قلة الحياء ومجاهرة نظر الله إليه، وبين الكفر والانسلاخ من الدين. ولذلك اشترطوا في صحة التوبة تيقنه أن الله كان ناظرا إليه ولا يزال مطلعا عليه.

أما شرائط التوبة فهي ثلاثة:

1- الندم على ما سلف منه في الماضي، إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به، وإصراره عليه، وفي الحديث: " **النَّدَمُ تَوْبَةٌ** "(65) .

2- الإقلاع عنه في الحال، إذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب، والعزم على عدم معاودته في المستقبل.

3- الاعتذار لله عز وجل ما هو من تمام التوبة.

أما حقائق التوبة فثلاثة أشياء:

1- تعظيم الجناية، فإنه إذا استهان بها لم يندم عليها، وعلى قدر تعظيمها يكون ندمه على ارتكابها، وهي تصدر عن ثلاثة أشياء: تعظيم الأمر، وتعظيم الآمر، والتصديق بالجزاء.

2- اتهام التوبة، لأنها حق عليه، فلا يتيقن أنه أدى هذا الحق على الوجه المطلوب منه، فيخاف أنه ما وفاها حقها، وأنها لم تقبل منه وأنه لم يبذل جهده في صحتها، وأنه تاب محافظة على حاله، فتاب للحال لا خوفا من ذي الجلال.

3- طلب أعذار الخليقة .

أما علامات التوبة الصحيحة فكثيرة نذكر منها:

1- أن يكون الإنسان بعد التوبة خيرا مما كان قبلها.

2- أنه لا يزال الخوف مصاحبا له لا يأمن مكر الله طرفة عين.

3- انخلاع قلبه وتقطعه ندما وخوفا.

4- كسرة خاصة تحصل للقلب ، لا يشبهها شيء، ولا تكون لغير المذنب، تجعله ذليلا خاضعا بين يدي الرب سبحانه وتعالى.

65-رواه ابن ماجة في سننه، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، رقم:4242.

المطلب الثالث: مراتب الجهاد

من أهم المواضيع التي اشتغل علماء الإسلام بها والتي تدل على ضرورة العودة دائما إلى النفس ومراجعتها،وكذا الانطلاق منها لإحداث التغيير الإسلامي موضوع مراتب الجهاد.

فلقد ذكر الإمام ابن القيم في الهدي النبوي ثلاث عشرة مرتبة من مراتب الجهاد، منها أربع مراتب في جهاد النفس، واثنتان في جهاد الشيطان، وثلاث في جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات، وأربع في جهاد الكفار،...

ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبيﷺ:" **وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ**"[66] كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج، وأصلا له؛ فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له، متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله؟ بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه، حتى يجاهد نفسه على الخروج.

فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادهما، وبينهما عدو ثالث، لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما، ويعده، ويرجف به ، ولا يزال يخيل له ما في جهادهم من المشاق، وترك الحظوظ، وفوات اللذات والمشتهيات، ولا يمكنه أن يجاهد ذينك العدوين إلا بجهاده، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما ، وهو الشيطان، قال تعالى:" **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**"(فاطر:6)

فحق الجهاد أن يجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله، فيكون كله لله،

66- رواه أحمد في مسنده عن فضالة بن عبيد،كتاب:باقي مسند الأنصار،رقم:22833

وبالله لا لنفسه، ولا بنفسه، ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده، ومعصية أمره، وارتكاب نهيه، فإنه يعد الأماني، ويمني الغرور، ويعد الفقر، ويأمر بالفحشاء، وينهى عن التقى والهدى، والعفة والصبر، وأخلاق الإيمان كلها، فجهاده بتكذيب وعده، ومعصية أمره، فينشأ له من هذين الجهادين قوة وسلطانا وعدة، يجاهد به أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله، لتكون كلمة الله هي العليا.

قال ابن القيم :" إذا عرف هذا، فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، جهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه، شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربانيين؛

وأما جهاد الشيطان ، فمرتبان:

إحداهما : جهاد على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان .

الثانية: جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعدة اليقين، والثاني يكون بعدة الصبر .قال تعالى:" وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ"(السجدة:24)، فأخبر أن إمامة الدين، إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهاد الكفار والمنافقين، فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع، والمنكرات، فثلاث مراتب:

الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز ، انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه.

فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ "**[67] .

ولقد أعطيت الأولوية لجهاد النفس على جهاد الأعداء لعدة اعتبارات منها:

أولا : أن الجهاد في الإسلام ليس أي جهاد، ولكنه جهاد بنية خاصة، لغاية خاصة، فهو جهاد " في سبيل الله"، فعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا فَقَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"**[68]

وهذا النوع من التجرد من كل دافع دنيوي، لا ينشأ اعتباطا، بل لا بد من تربية طويلة المدى حتى يخلص دينه لله، ويخلصه الله لدينه.

ثانيا : أن ثمرة الجهاد التي يتطلع إليها المجاهد المسلم في الدنيا هي التمكين والنصر. وهذا التمكين لا يؤتي أكله إلا على أيدي مؤمنين صادقين، يستحقون التمكين، ويقومون بواجباته وهم الذين ذكرهم الله بقوله:**"وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**

67-رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة،كتاب:الإمارة، باب:ذم من مات و لم يغز و لم يحدث نفسه بالغزو،رقم:3533 .

68-رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: من سأل وهو قائم عالما جالسا، رقم: 120.

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ"(الحج: 40-41) .

وقوله:" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (النور:55)

إن الذين يمكنون وينتصرون قبل أن يتغير ما بأنفسهم قد يفسدون أكثر مما يصلحون.

ثالثا: أن سنة الله ألا يتحقق هذا التمكين إلا بعد أن يصهر أهله في بوتقة الابتلاء، وتهمقلهم المحن والشدائد، ليبتلي الله ما في صدورهم، ويمحص ما في قلوبهم، ويميز الخبيث من الطيب وهذا لون من التربية العملية، جرى به القدر على الأنبياء وأصحاب الدعوات في كل العصور، وقد سئل الإمام الشافعي أيهما أولى للمؤمن أن يبتلى أو يمكن؟ فقال : وهل يكون تمكين إلا بعد ابتلاء؟ إن الله ابتلى يوسف -عليه السلام- ثم مكن له كما قال تعالى:" وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف:56).

إن التمكين الذي يجيء سهل المأخذ، داني القطوف، يخشى أن يضيعه أهله، أو يفرطوا في ثمراته. على عكس ما لو بذلوا فيه من أنفسهم وأموالهم وراحتهم ومستهم البأساء والضراء والزلزلة حتى أتى نصر الله. (69)

---

(69)-يوسف القرضاوي: في فقه الأولويات - دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة -مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان- ط: 1، 1420هـ/1999م، ص:225،226.

المطلب الرابع: الجرح والتعديل

الجرح والتعديل فرع من فروع علم الحديث، وهو يهتم بنقد رجال الحديث، والجرح مقصود به ذكر بعض عيوب الراوي، سواء في العدالة أو في الضبط، فيقال فلان مضطرب أو مجهول أولين الحديث أو متروك الحديث، أو كذاب وغيرها من الألفاظ المستعملة في الجرح، ومن قيلت فيه بعض هذه الأوصاف فهو مجروح فلا يؤخذ عنه الحديث.

أما التعديل فهو عكس الجرح، أي ذكر محاسن الراوي، كأن يقال فلان ثقة أو متقن أو ثَبْتٌ أو حجة أو حافظ أو ضابط وغيرها من العبارات التي تدل على عدالة وضبط الراوي.ومن كان كذلك فيؤخذ عنه الحديث. قال محمد بن سيرين:"إن هذا الأمر دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"[70]

وإن اجتمع في شخص جرح وتعديل، فالجرح مقدم لزيادة العلم، وقيل: إن كان عدد المعدلين أكثر رجح التعديل[71]

ونحن نريد أن نستفيد من هذا الموضوع لنُدَلِلَ به على شرعية النقد المتعلق بالأشخاص وضرورته في العمل الدعوي إذا اقتضى الأمر.ويكون ذلك "بذكر بعض عيوب الشخص، أو بعض مساوئه النفسية أو الروحية، أو نقد بعض تصرفاته حسب الظن الراجح، ويكون ذلك بالبينات والقرائن، من خلال الشهادات والخلطة والتجارب"[72]

واغتياب الناس والقدح فيهم محرم بنص القرآن﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (الحجرات: 12) ولكن قد يستثنى من هذا الحكم الأصلي من يُخشى ضرره أومن كان من أهل الفساد

70- الجامع لأخلاق الراوي، عن (صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، ط:12، 1401 هـ/1981م، ص:134)

71-ابن جماعة:المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق:محي الدين عبد الرحمان رمضان،دار الفكر ،دمشق،ط:2، 1406هـ/1986م، ص:64.

72- عبد الله يوسف الحسن: التقويم الدعوي(رسائل العين:03)،دار البشير للثقافة والعلوم،ط:1419،3هـ/1999م،ص: 57

والريب،وفي صحيح البخاري باب بعنوان :"**ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب**" ومما ورد فيه أن السيدة عائشة ﵂ **قالت :استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال:ائذنوا له،بئس أخو العشيرةأو ابن العشيرة،فلما دخل ألان له الكلام،فقلت:يارسول الله،قلتَ الذي قلتَ ثم ألنت له الكلام؟ قال:"أي عائشة إن شر الناسِ من تركه الناسُ،أو وَدَعَه الناس اتقاء فحشه** "[73].

وذكر النووي ستة من الأسباب التي يجوز فيها الإغتياب[74]، وقد جمعت في البيتين التاليين:

القدح ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرِّف ومحذِّر

ولمظهرٍ فسقاً ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

وقد قيل لابن المبارك:تغتاب؟ ، قال: اسكت، إذا لم نبين، فكيف تعرف الحق من الباطل[75]،وقيل لأحمد: إنه يثقل علي أن أقول فلان كذا، فلان كذا، فقال: إذا سكتَّ أنت، وسكتُّ أنا، فمتى يعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم"[76]

وقد استدل لمشروعية الجرح والتعديل أيضا بقول رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس:**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لَا مَالَ لَهُ وَأَمَّا أَبُوجَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ وَلَكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ** "[77]

والاستدلال بهذا الحديث في فقه الدعوة وتقويم الأفراد واضح، كما استنبط منه علماء الحديث جواز الجرح والتعديل، وكذلك تقاس عليه كل مصالح الدعوة بما تتضمنه من ترشيح

73- البخاري : الصحيح، كتاب:الأدب ،باب:ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب ،رقم:6054،ص:1170 .

74- النووي: الأذكار،ص:292 .

75- تدريب الراوي للسيوطي،369/2 .

76- الجامع لآداب الراوي والسامع،260/2، وفتاوى ابن تيمية:231/28 .

77- رواه مسلم، كتاب: الطلاق، باب: المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، رقم:2720 .

لمراكزها، والندب لمهامها"[78]، وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية مثل هذا القياس، فقال معقبا على هذا الحديث:"وفي معنى هذا نصح الرجل فيمن يعامله، ومن يوكله ويوصي إليه، ومن يستشهده، بل ومن يتحاكم إليه، وأمثال ذلك، وإذا كان هذا في مصلحة خاصة، فكيف بالنصح فيما يتعلق به حقوق عموم المسلمين، من الأمراء والحكام والشهود والعمال، أهل الديوان وغيرهم، فلا ريب أن النصح في ذلك أعظم"[79]

كما استنبط العز بن عبد السلام من هذا الحديث نفسه قاعدة عامة مفادها:"..أن القدح في الرواة واجب لما فيه إثبات الشرع، وكذلك كل خبر يُجوّزُ الشرع الاعتماد عليه والرجوع إليه، وجرح الشهود واجب عند الحكام وعند المصلحة، وحفظ الحقوق من الدماء والأموال والأعراض والأبضاع والأنساب، وسائر الحقوق أعم وأعظم"[80]

فعلم الجرح والتعديل صيانة للشريعة، وذلك لحفظ الحديث النبوي، ويقاس على ذلك ضرورة استعماله لحفظ مصلحة الإسلام العليا، وحفظ دماء وأعراض المسلمين، وذلك بحفظ الدعوة ورجالها، أما الصمت اتجاه المظاهر السلبية للأشخاص، وعدم التعريف بها وفق ضوابطها، بحجة أنها غيبة، فهو من باب عدم التمييز بين المصالح،وذلك يقود إلى مفاسد كثيرة.

كما يجب تقييم أعمال الأشخاص ومواقفهم لتبيان الحق، ويجب أن لا تقف عملية التقويم بسبب فضل الشخص ومكانته وصلاحه، فغاية الإيضاح هي لتقويم الخطأ، وليس لتأثيم الشخص أو اتهامه، بل هذا الأمر بحد ذاته من إيجابيات الجماعة، فهي كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، ومن التجربة يتبين أن أخطاء أي شخص داخل الجماعة هي أقل منها لو كان خارجها[81].

78- عبد الله يوسف الحسن: التقويم الدعوي، ص:62 .

79- فتاوى ابن تيمية، 230/28.

80- العز بن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام،مؤسسة الريان، بيروت،ط:1410هـ/1990م، 28/2 .

81- عبد الله يوسف الحسن: التقويم الدعوي،ص:65،66 ، بتصرف.

الفصل الثالث:

معايير النقد الذاتي وضوابطه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: معايير النقد الذاتي وضوابطه

المبحث الأول: معايير النقد الذاتي

المطلب الأول: تحديد أصناف المعايير

المطلب الثاني: معايير مراجعة النية والقصد

المطلب الثالث: معايير مراجعة الجهد والعمل

المبحث الثاني: آداب وضوابط النقد الذاتي

المطلب الأول: آداب وضوابط النقد الذاتي الفـــردي

المطلب الثاني: آداب وضوابط النقد الذاتي الجماعي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: معايير النقد الذاتي وضوابطه

المبحث الأول: معايير النقد الذاتي

المطلب الأول: تحديد أصناف المعايير

المطلب الثاني: معايير مراجعة النية والقصد

المطلب الثالث: معايير مراجعة الجهد والعمل

المبحث الثاني: آداب وضوابط النقد الذاتي

المطلب الأول: آداب وضوابط النقد الذاتي الفـــردي

المطلب الثاني: آداب وضوابط النقد الذاتي الجماعي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

معايير وضوابط النقد الذاتي

بعد إثبات أهمية فكرة النقد الذاتي وأصالة موضوعه ، نريد أن نتناول في هذا الفصل الثالث والأخير بعض المعايير والضوابط لعملية النقد الذاتي الفردي والجماعي.

ونقصد بمعايير النقد الذاتي المقاييس التي يُرجَع إليها في محاكمة الأعمال والسلوكات والمواقف، عند ممارسة عملية النقد الذاتي في التغيير الإسلامي. كما نقصد بضوابط النقد الذاتي الآداب الأخلاقية التي توجه ممارسة النقد.

هذه المعايير والضوابط من شأنها أن تضبط ممارسة النقد الذاتي فلا تنحرف عن أهدافها، حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها.

ونضمن هذا الفصل مبحثين أساسيين:

المبحث الأول: معايير النقد الذاتي.

المبحث الثاني: آداب وضوابط النقد الذاتي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: معايير النقد الذاتي

ونتناول هذا المبحث في أربعة مطالب أساسية، الأول منها يخص تحديد أصناف معايير النقد الذاتي، ويتعلق الثاني منها بمعايير نقد النية والقصد، ويتعلق المطلب الثالث بمعايير نقد العمل، كما يتعلق الرابع منها بمعايير نقد إنجاز العمل .

المطلب الأول: تحديد أصناف المعايير

إن كل دعوة دينية أو وضعية تقوم على أسس ومقومات تكون بمثابة المقاييس التي يزن بها أفرادها جهودهم، ويقوّمون من خلالها سلوكهم، ويعرفون بها مدى تحققهم بمُثُل الدعوة التي يحملون، والقيم التي من أجلها يجاهدون، ويقيسون بواسطتها النجاح الذي يحرزون على توالي الأيام والسنين، وتكون هذه المقاييس منبثقة انبثاقا ذاتيا من طبيعة العقيدة التي يدعون إليها ويستوحون منها أعمالهم ومشاريعهم.

والقيم المنبثقة من العقيدة الإسلامية والمقاييس الناشئة عن تمثلها لا تقف عند العمل الظاهر، بل تنفذ إلى المشاعر الملازمة له، ولا تقف عند النتائج القريبة للعمل الظاهر، بل تتجاوز ذلك إلى نتائجه البعيدة سواء في عالم الشهادة أو عالم الغيب .

والتصور الإسلامي يحكم بالنجاح للإنسان بمقدار ما قدم من عمل صالح سواء كان هذا العمل فرديا أم جماعيا [1] يقول الله تعالى :" إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" (فاطر:10)، فالعمل الصالح هو العمل الخالص والصائب الذي ينفع الناس بجلب المصالح لهم ودفع المضار عنهم في عاجلهم وآجلهم،قال تعالى :" فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ"(الرعد:17).

1- محمد يتيم : العمل الإسلامي والاختيار الحضاري، منشورات حركة الإصلاح والتجديد، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1409هـ/1989م ، ص:9.

والعمل الصالح هو العمل المفلح والموفق إلى نيل الأجر والحسنات من جهة، وتقديم النفع للناس من جهة أخرى " فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ"(القصص: 67)، قال الرازي :" الفلاح هو الظفر بالمطلوب، والمفلح هو الظافر بالمطلوب"[2].

والعمل الصالح المتقن هو علة الخلق والإيجاد، وهو مادة الابتلاء والاختبار في الحياة الدنيا، وهو مقياس النجاح في الآخرة، قال الله تعالى:" الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" (الملك:2)، قال الفضيل بن عياض في معنى أحسن عملا: " أخلصه وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، قال إن العمل إذا كان خالصا و لم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا و لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة." [3]

مما سبق يتبين لنا أن المعايير الأساسية التي يجب أن نحاكم إليها أعمالنا وتكون بمثابة الموازين التي نزن بها سلوكاتنا وتصرفات غيرنا هي نوعان:

أولا: قيم شعورية معنوية عبرت عنها نصوص القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح بالإخلاص وتجريد القصد ونبل الغاية والهدف.

ثانيا: قيم عملية تعبر عن الحسن الظاهري للفعل، وقد عبرت عنها نصوص القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح بمصطلحات مثل الاتباع والصواب والصلاح، وقد اشترط العلماء اجتماع هذين الركنيين والتقاء هذين المعياريين في كل عمل من الأعمال حتى يكون عملا حسنا ومقبولا.

ويفصّل ماجد عرسان الكيلاني هذه المعايير أكثر، ليقسم القيم العملية إلى قسمين

2- الرازي : مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط:2، 1411هـ/1990م، 34/1.

3- ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، دار المعرفة، بيروت، ط:1، 1386هـ، تحقيق: حسنين محمد مخلوف ، 333/1.

هما:قيم التصور النظري وقيم التنفيذ العملي،فقد أن لكل عمل ثلاث حلقات أساسية هي : **عمل الإرادة، وعمل الفكر، وعمل الأعضاء،** فهو (العمل) يبدأ خاطرة في النفس ، ثم يصبح فكرة إلى أن يبلور مخططا كاملا لموضوع العمل وطرائق تنفيذه وأدواته وزمنه ومكانه وغير ذلك. ثم يصبح ممارسة حيث ينتقل المخطط الفكري إلى الأعضاء لتحويله إلى ممارسة عملية.....والنجاح في حلقة الإرادة ثمرته الإخلاص في العمل، أما النجاح في حلقة الفكرة فثمرته الصواب في العمل، أما النجاح في حلقة الممارسة فثمرته إنجاز العمل.

والذي يقرر صلاح "النية" وفسادها هو خير" الخبرات الاجتماعية " أو شرها، أما الذي يقرر صلاح " الفكرة " أو سوئها فهو صواب"الخبرات الكونية" أو خطؤها، وأما الذي يقرر صلاح " الممارسة " أو فسادها فهو درجة إحكام السنن والقوانين التي توجه الإرادات والأفكار والممارسات إحكاما عقليا وفعليا[4].

مما سبق يمكن أن نستخلص أن للنقد ثلاثة أصناف أساسية من المعايير،أولها معايير خاصة بقيم شعورية معنوية، ونصطلح عليها بمعايير مراجعة النية والقصد، وثانيها معايير خاصة بالتصور النظري للفعل ، ونصطلح عليها بمعايير مراجعة صواب العمل، وثالثها معايير تتعلق بالحسن الظاهري للعمل، ونصطلح عليها بمعايير مراجعة إنجاز العمل.

4- ماجد عرسان الكيلاني: أهداف التربية الإسلامية، ص:41-42

المطلب الثاني: معايير مراجعة النية والقصد

إن غاية الإنسان المؤمن في الدنيا هي عبادة الله وتعبيد الناس له ،أما غاية الغايات فهي أن يلقى الله وهو عنه راض،فينجو من العذاب ويظفر بالفوز العظيم كما جاء في القرآن الكريم:" كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" (آل عمران:185)

والنية هي أساس كل عمل مهما كان نوعه، لذلك كانت هي الأولى بالمراجعة والتبويب. وهذه المراجعة يمكن أن تحصل قبل الفعل كما يمكن أن تحصل أثناءه أو بعد الانتهاء منه.

يذكر عبد الله دراز أن للنية ثلاث مركبات أساسية هي:

1-تصور المرء لما يعمله .

2-إرادة إحداثه.

3-إرادته بالتحديد على أنه شيء مأمور به أو مفروض.[5] هذا لأن الإخلاص لا يكفي لوحده بل لا بد له من شرطي الوعي والإرادة، ومن ثمة فإن مراجعة النية يجب أن تتوزع على هذه المحاور الثلاثة :

أولا :مراجعة تصور الفعل ودوره في تحقيق النية.

يراجع التصور إذا كان هناك إدراك لِكُنهِ الفعل ومعرفة بماهيته أم لا؟ وهل كان هذا الإدراك صحيحا ودقيقا وشاملا أم لا؟ ذلك أن الفعل المُراد مباشرته هو محل النية والقصد، ومن ثمة يكون الإدراك السليم للفعل هو أساس النية السليمة.

يقول دراز :" إن القرآن يتطلب منا الشعور النفسي، وحضور الذهن فيما نقول وفيما

5-محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن(دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن)، تحقيق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:6، 1405هـ/1985م، ص: 424-425.

نفعل، وذلك حين يمنعنا من أن نتصور أداء واجباتنا المقدسة ونحن في حال شرود، أو إغماء أو سكر "[6]، كما قال تعالى:" **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**"(النساء: 43).

كما أن تصور الفعل لا بد أن يكون صحيحا وواضحا، ولا يشوبه أي خلل، إذ أن كثيرا من الأخطاء والانحرافات تأتي من سوء تصور الفعل، قال الله تعالى:"**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا** "(فاطر:8)، كما حدث للخوارج الذين استباحوا دم علي ﷺ ومن معه، رغم أنهم كانوا طلاب حق مخلصين في طلبه، حتى أن الإمام ﷺ عليا لما سئل عنهم قال:" **لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس مَنْ طلب الحقّ فأخطأه، كَمَنْ طلب الباطل فأدركه**"[7]

وكما حدث للثلاثة الذين أخطأوا في تصورهم لحقيقة العبادة فاستقلوا عبادة النبي ﷺ وعزموا على أن يأتوا بأكثر مما جاء به، فأنكر عليهم النبي ﷺ الأمر واعتبر عملهم باطلا،فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم قال: **جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:" أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**"[8]

6- دراز عبد الله: المرجع السابق، ص:430.

7- نهج البلاغة، دار التعارف للمطبوعات، ط:1 ، 1410هـ /1990م، ص:53.

8-صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى:"فانكحوا ما طاب لكم من النساء"، رقم: 4675.

ثانيا: مراجعة الإرادة ودورها في تصويب النية

حيث تراجع الإرادة إذا كانت موجودة أم غير موجودة؟ وإذا كانت موجودة فهل هي مريدة و جازمة أم لا؟ إذ أن الإرادة هي الحبل الواصل بين الفكرة وبين الإنجاز، فإذا وهن الحبل الرابط توقف الإنجاز أو ضعف ضعفا شديدا [9]

والإرادة الجازمة كما يقول ابن تيمية هي:"الإرادة التي يجب وقوع الفعل معها إذا كانت القدرة حاصلة ،فإنه متى وجدت الإرادة الجازمة مع القدرة التامة وجب وجود الفعل لكمال وجود المقتضى السالم عن المعارض المقاوم"[10] (أي استيفاء الشروط وانتفاء الموانع).

والقرآن الكريم يطلب منا أيضا الضمير الأخلاقي، أي رضا القلب وتلقائية الفعل، والسرور، والهمة التي يُؤدى بها الواجب، وهذا هو السبب فيما أعلنه القرآن من أن أولئك الذين يقدِّمون بعض الصدقات، أو بعض شعائر التقوى، كسالى مرغمين لن تقبل أعمالهم عند الله أبدا[11] ،كما جاء في قوله تعالى عن المنافقين: " **وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ** "(التوبة: 54).

ويبين الله تعالى أثر غياب الإرادة في عدم حصول الفعل، حين تحدث عن المنافقين الذين تخلفوا عن "غزوة تبوك"، فقال تعالى:" **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً** "(التوبة:46) وحرف "لو" هو حرف امتناع لامتناع ،فامتناع الإرادة منعت الإعداد، فهم لم يعدوا لأن إرادتهم لهذا الأمر غير موجودة، أي إنهم فاقدو الإيمان بهذه القضية"[12]

إن قوة الإرادة هي التي تدفع الفرد والجماعة إلى الفعل وتحويل الأفكار والخطط

9- عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري، ص:73.

10-ابن تيمية: مجموع الفتاوى ،722/10.

11- دراز: المرجع السابق.

12-حارص حلمي:في النقد الذاتي، ص:290.

والبرامج إلى واقع عيني ، فإذا تراخت الإرادة أو انهزمت لسبب أو لآخر ظلت تلك الأفكار والخطط حبيسة الأذهان.

وبالإضافة إلى ما يجب أن يتوفر في الأفراد من إرادة ذاتية يجب أن يتوفر فيهم نوع من الإرادة الجماعية التي تربط الأفراد جميعا، وتوجههم توجيها مشتركا نحو الإنجاز[13].

ثالثا: مراجعة مشروعية القصد

حيث يراجع قصد المكلف هل كان مشروعا أم غير مشروع؟، وهو ما يوضحه ابن القيم بقوله:أن يقف عند أول همه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه، قال الحسن: رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر[14].

والمعيار في ذلك هو موافقة قصد المكلف لقصد الشارع أو عدم موافقته ،حيث يقول الإمام الشاطبي:"قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقا لقصده في التشريع .. وكل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له،فقد ناقض الشريعة ،وكل من ناقضها فعمله –في المناقضة– باطل،فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل"[15].

قال النبي ﷺ :" **إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**"[16]،وقال الله تعالى:"**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**"(الزمر:2)

ويمكن أن يتحول القصد الفردي إلى قصد جماعي، أو أهداف عملية جماعية.

13-عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري، 2/71،72.

14-ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان،المكتبة الثقافية ،بيروت،1/65-66.

15-الشاطبي : المرجع السابق،2/251-252.

16-رواه النسائي عن أبي أمامة ،كتاب:الجهاد ،باب:من غزا يلتمس الأجر والذكر،رقم:3089 ،وحسنه الألباني في " صحيح الجامع الصغير "، المكتب الإسلامي،ط:3،1408هـ/1988م (1/379 ،رقم: 1856)

المطلب الثالث: معايير مراجعة العمل

إن تقييم أي عمل يحتاج إلى مجموعة من المعايير التي يُستند إليها لتعيير ذلك العمل، وكل عمل يمكن أن ينظر إليه من ثلاث جهات هي: مدى مشروعيته، ومدى صوابه، ومدى صلاحيته.

أولا : مشروعية العمل

المشروعية هي موافقة الأفعال لسنن الله تعالى الدينية والتشريعية ، ويكون تحقيق المشروعية بنظر المكلف إلى مدى موافقة الفعل لأحكام الشريعة ومقاصدها أو مدى مخالفته لها، فإذا كان موافقا مضى فيه وإن كان مخالفا أعرض عنه، قال الله تعالى:" **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**(محمد:33)،وقال سبحانه وتعالى:"**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**"(النور:63) ،قال ابن كثير:أي عن أمر رسول الله ﷺوهو سبيله ومنهاجه وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان [17] وهذا ما يؤكده حديث النبي ﷺ ،عن عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**"[18] وتأكيدا لأهمية دراسة مشروعية الفعل قال ﷺ لمعاذ ابن جبل حين بعثه إلى اليمن:" **كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺصَدْرَهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ**

17-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 131/5.

18-رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم: كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: 3243.

رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ"[19]

ويمكن التأكد من مشروعية الفعل من خلال عرضه على أحكام الشريعة ومقاصدها مباشرة إذا تيسر الأمر، أو باللجوء إلى استشارة أولي العلم العارفين بعلوم الشريعة كما قال الله تعالى: " وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا "(النساء:83)

وليس شيء أضر على العباد من غياب العلم وندرة العلماء، لأن في ذلك ضلال وإضلال، فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[20]

وعلى هذا الأساس يصبح استيعاب حقائق الشرع، ووعي مقاصده في الخلق، أساس كل عمل تغييري تنشده كل حركة، ومنه ينطلق كل موقف، وإليه تعود كل مبادرة .

19-سنن أبي داود: كتاب:الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء، رقم: 3119 .

20-رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري: كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، رقم: 98.

ثانيا: صوابية العمل

الصواب يعني موافقة السنن الكونية والاجتماعية، إذ أن لله سننا ثابتة تحكم الكون المادي والنفس الإنسانية والاجتماع البشري.

ولقد عرف ابن تيمية السنة بقوله: "السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثلما فعل بنظيره الأول"[21]. كما عرفها باقر الصدر بأنها : " القوانين التي تتحكم في مسيرة التاريخ وفي حركة تطوره"[22]. وعرفها محمد الطاهر بن عاشور بأنها "عادة الله في الخلق"[23]. وقال جمال الدين عطية: "السنن هي القوانين القائمة على علاقتي السببية والاطراد"[24]

فسنة الله إذن هي الصبغة التي خلق عليها الخلق، والقانون الذي يسير به الكون، وعادته في معاملة البشر.

والمتأمل في الوجود وحركته يجد أن الخلق كله يخضع لنظام دقيق، ومحكم بقوانين لا تتبدل ولا تتغير، كما قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان: 02) ، فالسنن الإلهية تسود القطاع المخلوق بدءا من الذرة وانتهاء بالمجرة في العالم المادي، وبدءا من الخلية وانتهاء بالجسد في العالم العضوي، ومرورا بالنفس الإنسانية، المجتمع، الدولة، الحضارة، وانتهاء بالبشرية جمعاء كجسد واحد يضم الجنس البشري كله"[25].

والسنة ماضية في ضبط حركة الوجود الكوني، والذي يعد الإنسان جزءا منه، فمن أخذ بأسبابها وصل إلى النتيجة، ومن اصطدم بها وحاول القفز من فوقها، عوقب بحرمان النتائج.

21- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ، مكتبة المعارف، المغرب. 69/13

22- باقر الصدر: المدرسة القرآنية، ص: 43.

23- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، 96/4.

24- جمال الدين عطية: النظرية العامة للشريعة الإسلامية، ص: 16.

25- خالص حلبي: النقد الذاتي، ص: 63.

يقول عبد الكريم زيدان: " إن هذا العالم بكل ما فيه ومن فيه من نبات وجماد وحيوان وإنسان وأجرام سماوية، وما يصدر عن هذه الموجودات وما يتعلق بها ويحل فيها، وما يقع من موجودات كونية كنزول المطر وهبوب الريح وثوران البركان وتعاقب الليل والنهار، وما يحصل للإنسان من أطوار خلقه وتكوينه في بطن أمه، وما يحدث له وللأمة من شقاء وسعادة، ورفعة وسقوط، وعلو وانحطاط، وقوة وضعف، وبقاء وفناء ونحو ذلك ،.. كل ذلك وجوده وحدوثه في العالم لا يقع صدفة ولا خبط عشواء، وإنما يقع ويحدث وفق قوانين عامة ودقيقة وثابتة وصارمة لا يخرج عن أحكامها شيء" [26].

والإنسان محكوم في جميع علاقاته وحركاته بهذه السنن والقوانين ، واستقامة عمل الإنسان وانتظام أمره في الحياة متوقف أصلا على مدى معرفته بهذه السنن والقوانين وبقدرته بعد ذلك على الإفادة منها .

ولذلك نجد القرآن يدعونا إلى اكتشاف هذه السنن ومراعاتها في أعمالنا،ففي مجال النظر في آيات الطبيعة وآيات النفس الإنسانية يقول تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات:20- 21).

وفي مجال دراسة التاريخ الإنساني لاكتشاف سنن الله في الاجتماع البشري، يقول تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: 137-138).

* ومن هنا يتبين أن من بين أهم معايير تقييم الأعمال هو مدى موافقتها أو عدم موافقتها للسنن الإلهية الثابتة.

26- عبد الكريم زيدان- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية- مؤسسة الرسالة - ط:1، 1413هـ/ 1993م ص: 7.

ثالثا: صلاحية العمل

الصلاحية تعني مدى مواءمة الفعل لواقع الناس، وظروف الزمان والمكان، وهو ما يلخصه الإمام الشاطبي بقوله: "أن تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تتقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية"[27]

ويمكن أن نقسم الصلاحية إلى عنصرين أساسيين هما: الواقعية والأولوية.

1- واقعية العمل

الواقعية تعني اعتبار الواقع الإنساني المتغير بكل تجلياته ومجالاته النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية والجغرافية... والتقصير في معرفة الواقع كالتقصير في فهم أحكام الخطاب الإلهي، كما بيَّن ابن القيم ذلك عند حديثه عن أنواع التقصير الذي يمكن أن يحدث في تطبيق أحكام الشريعة بقوله: "**تقصير في معرفة الشريعة، وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر**"[28].

ويبين ابن القيم في موضع آخر أهمية فقه الواقع حين ذكر أنواع الفقه فقال: "فهاهنا نوعان من الفقه لا بد للحاكم منهما، فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس **الواقع** وأحوال الناس، يميز بين الصادق والكاذب والمحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطي الواقع حكمه من الواجب ولا يجعل الواجب مخالفا **للواقع**"[29].

ومصطلح الواقع في هذا الاستعمال يعني الحياة الإنسانية كلها بما تحتويه من أفعال وسلوكات وأعراف وظروف وملابسات، فإهمال هذا الواقع أو إهمال أي جزء منه يؤدي عند التطبيق إلى

27- الشاطبي: الموافقات، 191/4.

28- ابن القيم: الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 08.

29- المرجع السابق، ص: 04.

مناقضة مقصد الشارع من تشريع الأحكام.

وعلى هذا فلا بد من التوفيق بين مقتضى القواعد النظرية وواقع الحياة الإنسانية على نحو تراعى فيه مقاصد التشريع وهذا ما أكده في قوله: "التشريع الإسلامي يحاول التوفيق في التطبيق والعمل بين مقتضى القاعدة النظرية المحددة، **وواقع حياة الناس** على نحو لا يخل بمقاصد التشريع ومبادئه الأساسية والمصلحة العامة"[30].

فمن بين أهم معايير تقييم العمل هو مدى اعتباره للواقع المعيش المتغير ومدى استجابته لمتطلباته.

2. أولوية العمل

ويقصد بالأولوية تحديد أسبقية هذا العمل عن غيره من الأعمال، ومدى أهمية البدء به قبل غيره، وأساس هذا أن القيم والأعمال والتكاليف متفاوتة في نظر الشرع تفاوتا بليغا، وليست كلها برتبة واحدة؛ فمنها الكبير ومنها الصغير، ومنها الأصلي ومنها الفرعي، ومنها الأركان ومنها المكملات، ومنها ما موضعه في الصلب، وما موضعه في الهامش، وفيها الأعلى والأدنى، والفاضل والمفضول[31].

فمثلا التقرب إلى الله يكون بأداء الفرائض قبل النوافل كما قال الله تعالى في الحديث القدسي" ..**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه..**"[32]

والأعمال عموما ليست على مرتبة واحدة، وقد بين القرآن أفضلية بعض الأعمال على الأخرى، كما في قوله تعالى:"**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين**" (التوبة:19)

كما بين النبي ص أن شعب الإيمان ليست درجة واحدة ففيها أعلى وفيها أدنى، حين قال:"

30- المرجع السابق، ص: 18.

31- القرضاوي يوسف: في فقه الأولويات(دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة)، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420هـ/1999م،ص: 10

32- رواه البخاري: كتاب الرقائق، باب: التواضع، رقم: 6021.

"الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ "[33]

هذا من جهة تفاوت الأعمال في ذاتها، وهناك تفاوت آخر بالنظر إلى الواقع، أي أن هناك أولوية حسب المصلحة المرجوة من العمل، وحسب حاجة الناس إلى هذا العمل أو ذاك، فيقدم العمل ذا المصلحة الأكبر على الأقل مصلحة، ويقدم الأنفع على الأقل منفعة، ويقدم الفعل ذو الفائدة الأعم على ذي الفائدة الأخص.

وهذا ما جعل النبي ﷺ في إجابته عن سؤال كثيرا ما تكرر طرحه عليه وهو: أي الأعمال أفضل أو خير ؟ فكان جوابه متعدد الوجوه، فمرة ذكر الإيمان والجهاد، ومرة ذكر الصلاة لوقتها، وبر الوالدين ، ومرة ذكر سلامة الناس من لسان الإنسان ويده،....وهكذا تعددت الإجابات واختلفت وتفاوتت في ترتيبها وفي أسبقيتها بالنظر إلى الواقع وما كانت تستدعيه حالة السائلين .

وفي تحديد الأولوية بالنظر إلى المصلحة المرجوة من الفعل أو الترك نجد النبي ﷺ وقد كان بعض الصحابة كثيرا ما يشيرون عليه بقتل بعض المنافقين وتخليص المجتمع من فتنهم ومؤامراتهم، كان جوابه عليه السلام:"**أخاف أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصابه**"[34] يقول الشاطبي معلقا على هذا الحديث:"فموجب القتل حاصل: وهو الكفر بعد النطق بالشهادتين، والسعي في إفساد حال المسلمين كافة، بما كان يصنعه المنافقون، بل كانوا أضر على المسلمين من المشركين، فقتلهم درء لمفسدة حياتهم، ولكن المآل الآخر، وهو هذه التهمة التي تبعد الطمأنينة عن مريدي الإسلام أشد ضررا على الإسلام من بقائهم"[35]

فمع علمه عليه السلام بخطورة المنافقين، وتوفر الموجبات الشرعية المبدئية لقتلهم، إلا أنه عليه السلام لم يستجب لكل هذه الدواعي الموضوعية، ولم يجعل هذا العمل من الأولويات لأن مصلحة الدعوة كانت تقتضي إرجاءه إلى حين ،حيث آل أمر المنافقين

33- رواه النسائي في سننه، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: ذكر شعب الإيمان، رقم:4919.

34- البخاري :الصحيح ،كتاب :المناقب ،باب :ما ينهى من دعوة الجاهلية ،رقم:3257

35- الشاطبي: الموافقات، 197/4.

للانكماش والضعف وتألب الناس عليهم بعد ذلك حتى من أقارهم، فأدرك الصحابة ﷺ بُعدَ نظر رسول الله ﷺ في تحديد الأولويات، مما جعل عمر ﷺ يقول: **"قد والله علمت لأمر رسول ﷺ أعظم بركة من أمري"**[36]

فمن بين أهم معايير تقييم الأعمال النظر إليها، هل كانت تشكل أولوية أم لا؟ من الناحية الأعمال ذاتها، ومن حيث حاجة الناس إليها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

36- ابن هشام: السيرة النبوية، 305/3.

المطلب الرابع: معايير مراجعة إنجاز العمل

إذا كان للعمل كفكرة معايير فكذلك هناك معايير للعمل كإنجاز وتنفيذ، ومن بين أهم هذه المعايير؛ مدى إتقان العمل، ومدى اختيار التوقيت المناسب لتنفيذه، ومدى استمراريته، ومدى عدم تأثيره على أعمال أخرى هي بنفس الأهمية.

أولا: إتقان العمل

ويقصد به النظر في الكيفية التي تم بها إيقاع الفعل من حيث الإجادة وحسن الأداء، ذلك أن المسلم مأمور بإجادة أعماله وإتقانها، حيث قال النبي ﷺ:"**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**"[37]

و الإتقان هو الإحسان، وهو نشدان الشأو البعيد الذي تبلغ فيه الأعمال تمامها وكمالها، وهو كما عرفه النبيﷺ في الحديث :" **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"[38]

والمسلم مخاطب بالسعي لبلوغ هذه المنزلة، وإتقان كل ما يصدر عنه، وأن لا يخرج من بين يديه العمل معيبا أو مشوها، حتى ولو تعلق الأمر بأبسط الأعمال.قال ﷺ:" **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**"[39]

فالإتقان معيار أساس في تقييم إنجاز العمل.

ثانيا: التوقيت المناسب

ويقصد بذلك مدى التوفيق في تَحَيُّن الوقت المناسب لمباشرة الفعل، بمعنى هل كان السياق الزمني للفعل مناسبا لإمضاء الفعل أو للإحجام عنه؟، وهل كان في الوقت الذي كان

37- رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم:901.

38- رواه البخاري : كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم:48.

39- رواه مسلم : كتاب: الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، رقم:3615.

الناس في حاجة إليه أم لا؟ وهل كان مناسبا للظروف العامة والخاصة أم لا؟

والنجاح في اختيار الوقت المناسب متوقف على مدى الإحاطة بالواقع محل التغيير، وبالظروف والملابسات المصاحبة له.

ففي صراع موسى مع المجتمع الفرعوني، وفي إحدى أهم محطات هذا الصراع، نجده عليه السلام ينجح في اختيار الوقت المناسب عندما طلب منه فرعون تحديد موعد اللقاء والمواجهة، وفي هذا قال تعالى على لسان موسى عليه السلام "قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى" (طه:59)وفي سبب هذا الاختيار يقول سيد قطب: اختار الموعد يوم عيد جامع يأخذ الناس فيه زينتهم ويجتمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة، وزاد على ذلك اختيار الوقت في أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعا في يوم العيد، لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع، أو من وضوح الرؤية [40]

ومن النماذج المهمة في أهمية تحين التوقيت المناسب لتنفيذ بعض الأعمال ما ذكر ابن الأزرق عند حديثه عن مشورة ذوي الرأي والخبرة عددا من الأصناف التي لا ينبغي مشاورتها، لتلبسهم ببعض الملابسات التي من شأنها أن تؤثر في عقولهم واهتماماتهم ، ومن ثمة في آرائهم وذكر منهم: "الجائع حتى يشبع والعطشان حتى ينقع، والأسير حتى يطلق، والضال حتى يجد، والراغب حتى يمنح، وصاحب الخف الضيق، وحاقن البول، وصاحب المرأة السليطة، ومعلم الصبيان، وراعي الغنم... ومن لا دقيق له..."[41].

ثالثا: التكامل والتناسق

ويقصد بذلك معرفة ما يمكن أن يضيفه هذا الجهد إلى الجهود الأخرى، ومدى

40- سيد قطب: في ظلال القرآن ،دار الشروق، القاهرة، ط:12، 1406هـ/1986م، 2340/4.

41- ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك ، 302/1 .

انسجامه معها، وهل كان الجهد يشكل إضافة حقيقية ،أم كان مجرد استنساخ لنماذج سابقة؟ وهل كان يشكل تنوعا تكامليا مع بقية الأعمال والجهود، أم كان يشكل اختلاف تجاذل وتلاغي؟ وهل كان هذا التنوع فعليا أم كان عفويا؟.

هذه الأسئلة وغيرها يجب أن تطرح قبل تنفيذ الأعمال وبعد تنفيذها، ذلك أن الفرد (أو المؤسسة) وهو يقوم بالإنجاز منخرط ضمن محيط واسع من الأمة في مسؤولية مشتركة وعمل موحد، وبالتالي في عمل متكامل، وأنه بذلك العمل المتكامل يقوم بدور ضمن عمل شامل، ولا يستقل بذاته بحال من الأحوال، وذلك فيما يشبه الآلة التي تتحرك لتحقق غرضا من الأغراض، وكل قطعة منها تتحرك بحركة مجموعها، فلا هي بالغة غاية بحركتها المنفردة، ولا المجموع بالغ غاية بتخلف قطعة منه، بل هو عمل جماعي تتكامل فيه أفراد القطع في الإنجاز[42].

إن الروح الانفرادية التي تقف بالفرد عند حد ذاته وبالمؤسسة عند حد اعتباراتها، دون مبالاة بأعمال الآخرين وإسهاماتهم، تفضي إلى حدوث فروق شاسعة بين فئات المجتمع ومؤسساته، كما قد تفضي إلى تلاغي الجهود وتنافرها.

وهذا ما جعل أحد الشعراء يقول:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت أنت تبنيه وغيرك يهدم

والتكامل والتنسيق يقتضي تجميع الجهود وتكتيلها، وحسن توجيهها، بما يحقق الأهداف المرسومة، إذ أن إيجاد دوافع الحركة والعمل فقط غير كافي لإحداث التغيير المنشود، بل لا بد من توجيه هذه الحركة وترشيد ذلك العمل.

وفي غياب القدرة على التوجيه ضياع للجهد، وهدر للإمكانيات، وهو ما عبر عنه مالك بن نبي بقوله:"كم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتلها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، حين زحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه

42- عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري، 212/2.

متجهة إلى الهدف نفسه"[43]

رابعا: الفعالية

ويقصد بها مدى القدرة على استخدام الوسائل المتاحة للحصول على أحسن النتائج، وقد عرفها جودت سعيد بقوله:"هي قدرة الإنسان على استعمال وسائله الأولية، واستخراج أقصى ما يمكن أن يستخرج منها من النتائج"[44] .

كما يعرفها مالك بن نبي بأنها:"استخراج ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة "[45]

وعكس الفعالية هو كل صور العجز والتخلف وعدم المقدرة، ولقد ضرب الله مثلا للشخص الفعال والشخص غير الفعال في القرآن الكريم،وبين أنهما لا يستويان فقال:" وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم" (النحل:76)

كما أن الفعالية هي كل صور القوة المادية والمعنوية التي بإمكان صاحبها التأثير الجدي في الواقع، وذلك بتوظيف ما تيسر من الأدوات والوسائل، واستغلال ما سنح له من فرص، وقد قال النبيﷺ :"**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**"[46]

فمن بين أهم معايير تقييم إنجاز الأعمال مدى فاعلية القائمين بها، أي مدى استغلالهم للفرص المتاحة، ومدى استفادتهم من الإمكانات المتاحة لهم.

43- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص:84.

44- جودت سعيد: الإنسان حين يكون كلا وحين يكون عدلا، ط:1، 1990م،ص9.

45- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، الجزائر ودمشق، ط:1، 1412هـ/1991م، ص:85

46- رواه مسلم، كتاب: القدر، باب: الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم:4816.

خامسا: الديمومة

ويقصد بها مدى المداومة على الفعل ومدى المواظبة عليه، ومدى تواصل العملية التغييريـــة، لأن "العمل التغييري ما لم يتواصل، وما لم يحافظ على منجزاته، يكون جهدا ضائعا، وعملا عبثـــا لا معنى له سوى مضاعفة متاعب الأفراد والمجتمع"[47]، وهذا ما جعل النبي ﷺ يحث صحابته على ضرورة المواظبة على الأعمال وعدم الانقطاع عنها، فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّـــه عَنْهمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْـــلَ فَـــتَرَكَ قِيَـــامَ اللَّيْلِ"[48] قال ابن حجر نقلا عن ابن العربي وابن حبان:"في هذا الحديث استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من خير، كما استنبط منه كراهية قطع العبادة وان لم تكن واجبة"[49] ولهذا كان عمل النبي ﷺ كما وصفته السيدة عائشةرضي الله عنها"دِيمَة " وقد جاء في الحديث الصحيح عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ، قَالَ:وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمِلَـــتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ"[50]

قال النووي في شرح هذا الحديث:" وفيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائـــم خير من كثير ينقطع وإنما كان القليل الدائم خيرا من الكثير المنقطع لأنه بدوام القليل تدوم الطاعـــة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيـــث يزيد على الكثير المنقطع أضعافا كثيرة"[51]

ولهذا كان النبي ﷺ يوجه إلى ضرورة مراعاة الطاقة البشرية، وعدم تحميل النفس ما لا

47- الطيب برغوث: الأبعاد المنهجية إشكالية التغير الحضاري وضرورة المنهج، دار الينابيع للنشر والإعلام، الجزائر ،ط:1،1414هـ/1993م، ص91

48- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، رقم:1084.

49- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، دار المعرفة بيروت، ط:1379، 38/3

50- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم من قيام اليل وغيره، رقم: 1305.

51- شرح النووي على صحيح مسلم، 71/6

تطيق حتى يتفادى الإنسان الملل ويضمن للعمل الاستمرارية، فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِـــيَّ ﷺ قال:" عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَـــادَامَ عَلَيْـــهِ صَاحِبُهُ "[52] أي عليكم من الأعمال ما تطيقون الدوام عليه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

52- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه، رقم: 41.

المبحث الثاني: آداب وضوابط النقد الذاتي

ما دام للنقد الذاتي كل هذا الدور، وكل هذه المكانة في حياة الأفراد والجماعات، فإنه لا يتصور أن يمارس النقد الذاتي من غير ضوابط موضوعية وأخلاقية. ولذلك نريد أن نتناول في هذا المبحث جملة من الضوابط التي تضبط ممارسة النقد الذاتي سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي.

المطلب الأول: آداب و ضوابط النقد الذاتي الفردي

محاسبة النفس عمل عظيم يجله الإسلام، لكنه يحتاج إلى عدد من الضوابط و الآداب التي تساعد الفرد على إنجاح عمليات محاسبة نفسه ونقد ذاته باستمرار.و أريد أن أتناول من خلال هذا المطلب عنصرين اثنين:

أولهما: الأخلاق والآداب التي يجب على الإنسان أن يداوم عليها، والتي من شأنها أن تكون أرضية الاستعداد لنقد الذات وتهيئة النفس لقبول نتائجه.

وثانيهما: الضوابط العملية التي تساعد الفرد على إنجاح عمليات المراجعة والمحاسبة.

أولا: الآداب التي تهيئ النفس للنقد والمحاسبة

وهناك عدد من الآداب النفسية والروحية التي ذكرها علماء التزكية والتي من شأنها أن تهيئ النفس للقيام بالمحاسبة والمراجعة، ولتقبل نتائجهما، ومنها ما يلي:

1-الحرص على نجاة النفس

فمن أهم أخلاق النفس التي تساعد الإنسان على محاسبة نفسه الحرص على نجاتها في الدنيا والآخرة،قال الله تعالى" **ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون**"(المائدة:105)، قال ابن كثير:يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم،ومخبرا لهم أنه من

أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس،سواء كان قريبا منه أو بعيدا"[53]

فالأمر الأول الذي يجب على المرء أن يحرص عليه هو نجاة نفسه،كما قال عبد الله بن مسعود:"نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها"[54]

فأولى الاهتمامات التي يجب أن تكون حاضرة في وعي المسلم باستمرار صيانة خاصة نفسه دون النظر إلى الناس خاصة في زمن الفتن والفساد، فعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَالَ أَيَّةُ آيَةٍ قُلْتُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**) قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَقَالَ: **بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ** قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ **أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ** قَالَ: **بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ** "[55]

وعن عَبْد اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَقَالَ:" **إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا" وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: "الْزَمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ**"[56]

ولقد حدد النبي ﷺ للحرص على نجاة النفس أعمالا بعينها تساعد المرء على إدامة هذا

53- مختصر تفسير ابن كثير،557/1.

54- ابن القيم :الفوائد،ص:145.

55- رواه الترمذي في سننه،كتاب:التفسير ،باب:ومن سورة المائدة،رقم:2984. قال أبو عيسى حديث حسن غريب.

56- رواه أبو داود في سننه،كتاب:الملاحم ،باب:الأمر والنهي،رقم:3780.

الحرص عندما سأله أبو أُمَامَةَ :مَا النَّجَاةُ ؟قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ"[57]

2- عدم العجب بالنفس والرضى عنها

العجب بالنفس واستكثار أعمالها والرضى عنها من أخطر الأمراض التي إذا أصابت النفس الإنسانية شغلتها عن إدراك الأخطاء ومنعتها من كل مراجعة أو محاسبة،كما قال الفضيل بن عياض:" **إذا ظفر إبليس من ابن آدم بإحدى ثلاث خصال قال لا أطلب غيرها :إعجابه بنفسه، واستكثاره عمله، ونسيانه ذنوبه**"[58] .

ومن شأن العجب أن يجعل الإنسان مزهوا بعمله ومحتقرا لعمل الآخرين، فيعرف بشر بن الحارث الحافي العجب بأنه:" **أن تستكثر عملك وتستقل عمل غيرك**"[59].

ويبن ابن عطاء الله السكندري أن الرضا عن النفس، واستحسان مردودها هو السبب الأصلي لكل تقهقر وانحراف، كما أن عدم الرضا عنها هو المصدر الأساس لكل يقظة وتطور فيقول:" **أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟**"[60]

يقول محمد الغزالي:"إذا وجدت امرأ راضيا عن نفسه فافقد منه الأمل، لأنه ينطوي على ركام من العيوب والنقائص وهو لا يلتمس الخلاص منها بل إنه فاقد الشعور بوضاعتها"[61].

57- رواه الترمذي في سننه،كتاب:الزهد ،باب:ما جاء في حفظ اللسان،رقم:2330. قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

58-محمد أحمد الراشد:العوائق، ص:50.

59-المرجع نفسه ص:49.

60-محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام،ص:152.

61-المرجع نفسه ، ص:153.

3- اتهامها وسوء الظن بها

من بين أهم الآداب الواجبة مع النفس سوء الظن بها وعدم الثقة فيها، ذلك لأنها أمـــارة بالسوء على خلقتها، كما قال الله تعالى **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** " (يوسف: 53)

وسوء الظن بالنفس يمكن الإنسان من مداومة المراقبة لها، وإحكام الســـيطرة عليـــها، وبذلك يكون في منأى عن الزلل كما قال الحسن البصري:" **إن العبد لا يزال بخير ما كـــان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته**"[62].

وذكر ابن القيم أن من بين مرتكزات المحاسبة سوء الظن بالنفس، فقال:"أمـــا ســـوء الظن بالنفس: فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويلبس عليـــه، فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالا، كما قال الشاعر:

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساوئ

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجـــهل النـــاس بنفسه"[63]

ولذلك كان تلميذ الثوري يوسف بن أسباط يردد دعاءه : "**اللهم عرفني نفسي**"

فإن في النفس من الأسرار والخفايا ما لا يكشفه إلا عون الله لنا، حتى أن أستاذا في علـم النفس مثل سهل بن عبد الله الزاهد يجزم بأن: " **معرفة النفس أخفى من معرفة العـــدو**"، أي أن عيوبها تتستر، وتموه أمرها كما يتستر العدو ويخادع"[64]

والمؤمن يسائل نفسه في بداية كل عمل أو قول عن الهدف منه، وعن الغاية التي يبتغيـــها من ورائه، وقد قال الحسن البصري:" لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمـــتي؟

62-ابن القيم: إغاثة اللهفان، **78/1**

63-ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين، ص:200.

64-محمد أحمد الراشد: العوائق، ص:77.

ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟، والعاجز يمضي قدما ولا يعاتب نفسه"[65]

4- التعجيل بالمحاسبة وعدم اليأس

ومن الواجبات التي تساهم في تسهيل وظيفة نقد الذات، التعجيل بالمحاسبة وعدم ترك الأخطاء والمعاصي تتراكم، والمديونية تتعاظم، إلى حد تشكل حجابا حاجزا عن كل نقد أو مراجعة.وحينئذ قد ييأس الإنسان عن أي إصلاح لنفسه.

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**"[66]

فالمؤمن مأمور بأن يسارع إلى محاسبة نفسه، ويبادر إلى ذلك قبل حلول الموانع التي قد تعوقه عن أداء هذه المهمة كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**"[67]

وقد حذر النبي ﷺ من مغبة تأجيل محاسبة النفس وترك الأخطاء تتراكم،فقد ورد عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ :" **إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ :"كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"** (المطففين: 14) "[68]

وإذا غفل الإنسان وتراخى عن المراجعة والمحاسبة وأسرف على نفسه في ارتكاب

65-ابن القيم : إغاثة اللهفان، 78/1.

66-رواه البخاري، كتاب: الرقائق، باب:قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، رقم: 5937.

67-رواه الترمذي في سننه ،كتاب:الزهد،باب:ما جاء في المبادرة بالعمل،رقم:2228.وقال حديث حسن غريب.

68-رواه الترمذي عن أبي هريرة، كتاب: تفسير القرآن، باب:ومن سورة ويل للمطففين،رقم:3257.قال أبو عيسى:هذا حديث حسن صحيح.

الأخطاء، فإن الله تعالى يبقي فرصة للرجوع والتوبة، يقول الله تعالى:"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (الزمر:53) وهذا منعا لحدوث اليأس المقعد للإنسان عن النقد والمراجعة، كما قال تعالى "وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" (يوسف:87)

فالله تعالى يحيي الأمل في النفوس للنهوض والتصحيح، مهما كثرت الأخطاء، ويمنع من أن تكون كثرة الخطايا عقبة تمنع المرء من الرجوع الصادق، كما جاء ذلك في الحديث فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُول: **قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**"[69]

5- مداومة تذكير النفس

إن من الأمور الأساسية التي تهيء للفرد جو مداومة محاسبته لنفسه، المداومة على تذكيرها ،وشغلها بالحق وعدم الغفلة عنها ،لأن النفس إن لم تشغل بالحق شغلت صاحبها بالباطل كما قال الشافعي:"إن لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل"[70] .وهذا ما حدا بالنبي ﷺ إلى أن يكون دعاؤه باستمرار :" **اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** "[71]

إن الإنسان وبالرغم من أنه جُبِلَ على الترقي نحو الكمال الإنساني، فيه استعداد جبلي

69-رواه الترمذي في سننه، كتاب:الدعوات، باب:في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، رقم:3463.قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

70-محمد الغزالي:جدد حياتك،ص:64.

71-رواه أبو داود في سننه ، كتاب:الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، رقم :4426.

آخر نحو الانجذاب إلى الأرض، والاستجابة لدواعي السفول والانحطاط، بل إنه -حين يترك وشأنه – يكون أكثر ميلا وتهيأ لأن يستجيب لثقلة الطين في كيانه[72]

قال تعالى :"**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين**"(التين:4،5)

إن الغفلة والنسيان يجعلان الإنسان ينفتح على عالم الذات،وينشغل بهمومه ويستجيب لاهتماماته،وهو ما يؤدي إلى الانفلات والفتور والانجذاب إلى دواعي السفول والتراجع عن قمم الكمال الإنساني التي قد يرتقي إليها الإنسان[73] ،وهذا ما أحسه بعض من كبار الصحابة كما يوضح ذلك هذا الحديث عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ (وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)قَالَ: **لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ :كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ ،قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺعَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا .**

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺقُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَمَا ذَاكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**"(74)

72-محمد قطب :دراسات في النفس الإنسانية ،دار الشروق، ط:1410هـ/1990 ،ص:338.

73-الطيب برغوث:الأبعاد المنهجية لإشكالية التغيير الحضاري وضرورة المنهج،ص:102 .

74- رواه مسلم، كتاب:التوبة، باب:دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا ، رقم: 4937.

6- استشعار رقابة الله

إذ تعد من أهم الأمور التي تبعث في نفس الإنسان روح المتابعة لكل ما يصدر منه والمسارعة في محاسبتها، وتقويم اعوجاجها، فالله تعالى مع الإنسان أينما كان قال تعالى: " **وهو معكم أين ما كنتم**" (الحديد: 4)، وهو رقيب عليه وعلى أعماله، قال تعالى : "**وكان الله على كل شيء رقيبا**"(الأحزاب: 52)، لا تخفى عليه خافية ويعلم السر وأخفى،قال تعالى: " **فإنه يعلم السر وأخفى**"(طه:7)

ومراقبة العبد لله تعالى هي " دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع قوله وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس، وكل طرفة عين "[75]

واستشعار رقابة الله تعالى كفيل بأن يجعل الإنسان متيقظا، في خشية دائمة من سوء أعماله، ساعيا في كل وقت وحين إلى محاسبة نفسه و مجاهدتها، حتى يرضي الله تعالى الناظر إليه والمطلع عليه.

وقد وردت عدة آثار في الحث على المراقبة في كل وقت، ومن ذلك قول أبي حفص لأبي عثمان النيسابوري :" **إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ونفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك**" [76]

7- تذكر الحساب الأكبر

من الأمور التي تهيئ النفس لقبول المحاسبة، تذكر الإنسان ليوم الحساب الأكبر يوم

75- ابن القيم: مدارج السالكين، 65/2

76-ابن القيم :المرجع السابق65/2.

العرض على الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية، "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا"(آل عمران:30).

وقد تعددت الآيات الكريمة وتنوعت في وصف مشاهد الحساب ومواقفها الرهيبة من إقامة للموازين ونشر صحائف الأعمال بكل دقائقها وتفاصيلها من ذلك قوله تعالى:" يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(المجادلة:6)، وقوله تعالى:" وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا"(الكهف:49)، وقوله تعالى :" وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ" (الأنبياء:47)، ويذكر الله تعالى بأنه في هذا اليوم الرهيب سينطق الأعضاء التي ستشهد على أعمال العباد، فلا يمكنهم إنكار ما قدمت أيديهم ، قال تعالى:" الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"(يس:65) فتذكر الحساب وما يصاحبه من مشاهد وأهوال يهز أعماق النفس ويدفع بالإنسان ليبادر إلى محاسبة نفسه وتصحيح أخطائه، حتى يخف عنه الحساب يوم القيامة وينجو من العذاب ويكون من الفائزين.

يقول الحسن البصري:" **إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة** "[77].

77-أبو بكر الآجري : أدب النفوس ، ص:28.

ثم بيَّن كيفية محاسبة الناس لأنفسهم عند إقبالهم على الأعمال :" **يقفوا عند همومهم وأعمالهم فإن كان الذي هموا به لهم مضوا، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الأمر يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا أخذوها من غير محاسبة فوجدوا الله عز وجل قد أحصى عليهم مثاقيل الذر** "[78]

8- اتخاذ صاحب للنصيحة

وهو من أهم العوامل التي توفر للإنسان جو مراجعته لنفسه، ذلك أن الصاحب بمثابة المرآة التي يرى فيها الإنسان صورته على حقيقتها كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ** "[79] وتعليقا على الحديث قال الحسن البصري:" هو مرآة أخيه، إن رأى منه ما لا يعجبه سدده وقومه ووجهه، وحاطه في السر والعلانية"[80]

فالإنسان قد لا يتمكن من رؤية بعض الأخطاء التي تصدر عنه، مثلما قد تظهرها المرآة كما قال الشاعر:

فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة

ولهذا حث النبي المؤمن على أن يكون مرآة صادقة لأخيه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ** "[81] ويكون مرآة صادقة عندما يسدي له النصح والتوجيه

قال عمر بن عبد العزيز : " من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه"[82]، وهو الذي اتخذ من مولاه مزاح صاحبا

78-ابن أبي الدنيا: محاسبة النفس، ص:94.

79-رواه الترمذي في سننه، كتاب : البر والصلة، باب: ما جاء في شفقة المسلم على أخيه المسلم،رقم :1852. وقال: ضعفه شعبة.

80-عبد الله بن المبارك: الزهد لابن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت، ت: عبد الرحمن أعظمي ، ص:232، .

81-رواه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في النصيحة والحياطة، رقم: 4272.

82-تاريخ الطبري: 572/6.

يحصي عليه أخطاءه، وقال له: " إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعت مني كلمة تريباً بي عنها، أو فعلا لا تحبه فعظني عنده، وانهني عنه"[83].

والنصيحة للمسلمين

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** "[84]

ومثل التقدم بالنصيحة قبولها، فالصادق يفرح بها، والكاذب يبغضها، ولقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين،إذ قال الله تعالى للمكذبين على لسان نبيه صالح –عليه السلام- :" **يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**" (الأعراف:79)

قال الإمام الشافعي:" ما نصحت أحدا فقبل مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا رد أحد علي النصح إلا سقط من عيني ورفضته"[85].

9- تسجيل الأعمال

ومن بين أهم التقنيات المساعدة على تدقيق محاسبة النفس ،تخصيص دفتر يسجل فيه كل ما يصدر عنها من صغيرة أو كبيرة، يقول محمد الغزالي: هل يفكر أكثرنا أو أقلنا في إمساك دفتر يسجل فيه ما يفعل وما يترك من حسن أو سوء؟ ويعرف منه بين الحين والحين رصيده من الخير والشر وحظوظه من الربح والخسارة...؟ فكيف ولله حفظة يدونون مثقال الذرة، ويعدون لنا قوائم بحساب طويل، كما قال تعالى:" **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا**

83-عيون الأخبار لابن قتيبة، 18/2.

84-رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، رقم: 82.

85-محمد أحمد الراشد: العوائق، ص:127.

عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " (الكهف:49)، أما يجب أن نستكشف نحن هذا الإحصاء الذي يخصنا وحدنا، أما ينبغي أن نكون على بصيرة بمقدار ما نفعل من خطأ وصواب؟[86].

ويرى ابن المقفع أن يسجل الإنسان ما يصدر عنه عاجلا الصفحة اليمنى للحسنات واليسرى للسيئات، بينما يذهب ديل كارنيجي إلى تدوين السيئات فحسب، على أساس أن المرء يعنيه تلافي أخطائه، والنجاة مستقبلا مما وقع فيه آنفا، حيث قال: في أحد أدراج مكتبي ملف خاص مكتوب عليه حماقات ارتكبتها[87]

وقد لا يدرك المرء أهمية تدوين أعماله إلا بعد تجربة طويلة في الحياة، ليجد نفسه في حاجة ماسة إلى تذكر أخطائه. يقول محمد الغزالي : في صدر شبابي الأول كنت دقيقا في محاسبة نفسي، وكنت أرسم برامج قصيرة الأجل للتطهر مما أحقره من خِلَالٍ وأعمالٍ، وأذكر أنني استعنت بإحدى المفكرات السنوية لإثبات الأطوار التي أنتقل بينها من الناحيتين الذهنية والنفسية، وإن كنت فشلت آخر الأمر في استدامة هذا الأسلوب.

ويرجع فشلي إلى أنني أطلب النتائج المستحبة بسرعة، وقد مزقت هذه المفكرة في سلعة يأس لأني نظرت في صفحاتها –وكنت أدون حالتي بأمانة– فوجدتها لا تشير إلى أي تقدم، كانت أشبه بملفِ مريضٍ لا تتغير حالته مع عظم العناية وعناء السهر.

وأحس الآن أني أخطأت في الاستجابة لهذا اليأس، لأني نظرت للأمر من ناحية ضيقة، ناحية الحصول على نتائج معينة في أيام محدودة، جاهلا أو متجاهلا ما يكتنف النفس من وعورة طباعها الرديئة، ومن عوائق البيئة التي لا حصر لها.

والحق أن ترويض النفس على الكمال والخير، وفطامها عن الضلال والشر يحتاج إلى رقابة طويلة وحساب دقيق يعتمد على الكتابة، والمقارنة، والإحصاء، واليقظة[88]

86-محمد الغزالي: جدد حياتك، ص:229-230.

87-المرجع نفسه ص: 230-231.

88-المرجع نفسه.

فتدوين الإنسان لأعمال سواء كانت سلبية أو إيجابية من شأنها أن تساعده على المحاسبة وأن تيسر له النقد والمراجعة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: ضوابط ممارسة النقد الذاتي الفردي

هناك عدد من الضوابط الهامة التي تحدث عنها علماء التربية والتزكية، والتي من شأنها أن تساعد الإنسان على ضبط عمليات المراجعة والمحاسبة، ومنها:

1- التوسط وعدم الغلو

يجب على الفرد وهو يحاسب نفسه وينقد ذاته ألا يغلو في محاسبتها، فيشدد عليها فيحرمها حظها الذي شرعه الله لها ويحملها ما لا تطيق بدعوى أن في إرهاقها والتشدد معها تربية لها، وأن في أخذها بالمباحات المشروعة تساهل معها وتفريط .

وقيل أن أفضل العبادات أشقها على النفوس وأصعبها، وقالوا:لأنه أبعد الأشياء عن هواها، وهو حقيقة التعبد، وإنما تستقيم النفوس بذلك، إذ طبعها الكسل والمهانة، والإخلاد إلى الأرض، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق. كما قالوا: أن الأجر بقدر المشقة[89].

رغم أن نصوصا كثيرة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة تحثُّ على الأخذ بالحظوظ المشروعة، وعدم تعذيب النفس فيما لا طائل منه، ومن ذلك قوله تعالى:"**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**"(القصص:77).

وقد حمل الإمام ابن الجوزي بشدة على المبالغين في التشديد على أنفسهم وحذر من المبالغة في التقليل من المطعم، والتبذل في اللباس، وإرهاق النفس وتعذيبها بحجة الزهد في الدنيا، فقال :" كيف يجوز لنا أن نعذبها – أي النفس- وقد قال الله عز وجل:" **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** "(البقرة:195) ورضي منا بالإفطار في السفر رفقا بها وقال: "**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ**

89-ابن القيم : مدارج السالكين ، 110/1.

الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" (البقرة:185)، أو ليست مطيتنا التي عليها وصولنا"[90].

ثم بين ذلك من زاوية حقوق النفس فقال:" إن للنفس حقاً، ومَنْعُ الحق مستحقه ظلم، ولا يحل للإنسان أن يؤذي نفسه ... وقوام النفس بالأغذية، فإذا منعها أغذية الآدميين، ومنعها الماء فقد أعان عليها، وهذا من أفحش الخطأ، وكذلك منعه إياها من النوم ..وهذه النفوس ودائع الله عز وجل "[91]

وقد كان النبي ﷺ يحذر من التشدد في الدين والمغالاة في تكليف النفس المشاق وإرهاقها بما لا تطيق، فعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا** " [92]، أي المشددون على أنفسهم في غير موضع التشديد.وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ:**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**"[93]

وقال أيضا:" **اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ وَكَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ** "[94]

وقد نبه الشاطبي إلى أن الحرج منفي عن هذا الدين مطلقا، وأن الذين يشددون على أنفسهم بالاقتصار على الخشن في المأكل والملبس من غير ضرورة إلا لمجرد التشديد لا بد أن يفضي بهم الأمر إلى الابتداع، لأن الشرع لم يقصد إلى تعذيب النفس في التكاليف، وهو أيضا مخالف للحديث :" **إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**

90-ابن الجوزي: تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، ط:1، 1403هـ ، ص: 217.

91-المرجع نفسه.

92-رواه مسلم، كتاب: العلم ، باب: رفع العلم وظهور الفتن في آخر الزمان، رقم 2670.

93-رواه البخاري ، كتاب: الإيمان ، باب: الدين يسر، 15/1، رقم:38.

94-رواه أبو داود عن عائشة، كتاب: الصلاة ، باب: ما يؤمر به من القصد في الصلاة، رقم:1161.

فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ"[95] فمن أراد التشديد على النفس ، وحرمانها من جميع حظوظها المباحة، فقد ابتدع خلاف ما قصده الشارع الحكيم من الرفق والتيسير[96].

2- الصراحة في محاسبة النفس

أي محاسبتها على الظاهر منها والباطن فيها كما قال تعالى:" **وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ** "(الأنعام:120)

إن من الأمور الأساسية التي يجب أن يصطحبها الفرد وهو يقوم بعملية نقده لذاته أن يكون صادقا مع نفسه ولا ينخدع عن حقيقتها، ولا يَغُرَّنَهُ كثرة المادحين له، فهم يمدحونه بما يظنونه فيه وبما يرونه ظاهرا منه، ولكنه هو أعلم بنفسه ظاهرها وباطنها أكثر من غيره، والله أعلم به من نفسه، كما قال تعالى :" **بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**" (القيامة:14-15) ،وقد صدق ابن عطاء الله السكندري حين قال :"**الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها**"[97].

إن من واجب الناقد أن لا يغش نفسه لأن الله ستر عليه فانطلقت ألسنة الناس تمدحه، بل عليه أن يكون صادقا معها، يفتش عن عيوبها لينقيها منها، ويستحضر ما بها من الأخطاء كي يصوبها، وما فيها من نقائص كي يكملها، غير عابئ بمدح الناس له، فإذا قال الناس هو كامل فلا ينخدع بمقالتهم عن حقيقة ما يعرفه من نفسه فأجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس[98].

95-رواه البخاري عن سلمان، كتاب: الصوم ، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع و لم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له،رقم:1832.

96-الشاطبي: الاعتصام،1/340-344.

97-محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام، ص:177

98-المرجع نفسه.

ولقد عد الفضيل بن عياض حب المحمدة بما ليس في الإنسان و كره الذم بما فيه من علامات النفاق فقال : " **إن من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه، ويكره الذم بما فيه، ويبغض من يبصره بعيوبه**"[99] ، فتراه لو مدحه أحد ينتفخ صدره في الحال، ويطرب، وتسبح به الخيالات في بحار من اللذة الغامرة، فإذا جاء آخر ناصحا له انقلب بسرعة إلى حالة غريبة، يضيق فيها صدره، وتتسارع أنفاسه، وينفلت لسانه بكل خشن.

إن ستر الله تعالى لكثير من زلاتنا وعيوبنا إنما هو نعمة كبرى، وكل منا أدرى بحقيقة نفسه من غيره، وما تزكية الغير لنا إلا من شباك الاستهواء التي ينصبها الشيطان، وقد تأمل خالد بن صفوان في أحوال الناس فحذر قائلا : " **إن أقواما غرهم ستر الله وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك**"[100]

4- اختيار أفضل الأوقات

إن نقد الفرد لذاته، ليس له وقت محدد، ولا ساعة معينة، بل هو عملية مستمرة ومتواصلة، مصاحبة للإنسان في كل وقت وحين، لأن المسلم مطالب بأن يكون قواما على نفسه، يراقبها ويعاتبها ويحاسبها باستمرار، لكن يستحب لهذه المحاسبة أن يكون لها مجلس خاص.

ومادام الله تعالى قد خلق النهار للمعاش والحركة والعمل، وجعل الليل للسكون والراحة كما قال:" **وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا**"(النبأ:10-11) فقد استحب بعض المربين أن يكون للإنسان مجلس محاسبة مع نفسه ليلا قبل النوم، يستعرض فيه أعمال يومه ليعرف ربحه من خسارته.

قال الماوردي عند حديثه عن محاسبة النفس: " عليه أن يتصفح في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن الليل أخطر للخاطر، وأجمع للفكر، فإن كان محمودا أمضاه، وأتبعه بما شاكله وضاهله،

99-محمد أحمد الراشد: المرجع السابق، ص: 51-52.

100-المرجع نفسه.

وإن كان مذموما استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل"[101] .

وهو ما ذهب إليه ابن القيم بقوله :" ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحا بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة، ويعزم على ألا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ مستقبلا للعمل مسرورا بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فات"[102].

ولا شك أن مما يساعد على صفاء الذهن ساعة المحاسبة أن يجلس العبد بعيدا عن الناس ويخلو بنفسه لأن انشغاله بمن حوله يحول دون صدق المحاسبة وشمولها، ولهذا قال مسروق:" إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذكر ذنوبه ويستغفر منها" [103].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

101-الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص: 342.

102-ابن القيم: الروح ،دار القلم،بيروت ، ط:2، 1403هـ/1983م، ص: 72-73.

103-أنس أحمد كرزون: منهج الإسلام في تزكية النفس، 357/1.

المطلب الثاني: آداب و ضوابط التلاوم الجماعي

يختلف النقد الذاتي الجماعي عن الفردي في أنه يتعلق بعمل الآخرين أو عمل المؤسسة، ولذلك فإن هناك ضوابط وآداب أخلاقية إضافية تتعلق بحكمة التعامل مع الآخرين.

أولا: آداب للنقد الذاتي الجماعي

ونقصد بها الآداب المصاحبة لممارسة النقد الجماعي، فرغم أهمية الضوابط الموضوعية في إنجاح عملية النقد إلا أنها لا تكفي إذا لم تلازمها الضوابط الأخلاقية، فكما أن الإنسان في حاجة إلى عقل يقظ فهو في حاجة أيضا إلى ضمير حي، وكما أنه في حاجة إلى العلم النافع فهو في حاجة إلى الإيمان الوازع والخلق الفاضل، ولذلك أفردنا الحديث عن عدد من الدعائم ذات الطابع الأخلاقي التي لها أثر كبير في إنجاح عملية النقد، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

أولا: الإخلاص والتجرد من الأهواء

إن إخلاص النية والتجرد للحق، ومجاهدة النفس حتى تتحرر من اتباع هواها أو أهواء غيرها هي شروط أساسية في كل عمل صالح. والإخلاص في النقد هو أن تكون غاية الإنسان الوصول إلى الحقيقة، وأن يكون هدفه هو تقويم الاعوجاج وتصحيح الأخطاء دون انتقام من أشخاص أو فئات، وبعيدا عن المماراة والمباهاة والتظاهر لاستمالة الناس، وقد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: " **مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ وَيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ** "[104]

فالإخلاص في النقد هو صدق الإرادة في اختيار الحق على ما سواه، وبهذا المعنى فإن عظماء الرجال من المصلحين والعلماء والنقاد والمفكرين، يتصفون دائما بالإخلاص، وهم يتبعون الحقيقة حيث ما تقودهم، إنهم لا يكفون أبدا عن محاولة استبدال رغباتهم الخاصة

104-رواه ابن ماجة في سننه عن أبي هريرة، كتاب :المقدمة،باب:الانتفاع بالعلم والعمل به،رقم:256.

بالحقائق، كما أنهم لا يحاولون إخفاء هذه الحقائق عندما تثير لهم المتاعب...[105].

يقول الإمام حسن البنا:" **إن الإخلاص أساس النجاح، وإن الله بيده الأمر كله، وإن أسلافكم الكرام لم ينتصروا إلا بقوة إيمانهم وطهارة أرواحهم، وذكاء نفوسهم وإخلاص قلوبهم، وعملهم عن عقيدة واقتناع جعلوا كل شيء وقفا لهم، حتى اختلطت نفوسهم بعقيدتهم، وعقيدتهم بنفوسهم ، فكانوا هم الفكرة وكانت الفكرة إياهم. فإن كنت كذلك ففكروا، والله يلهمكم الرشد والسداد، واعملوا والله يؤيدكم بالقدرة والنجاح، وإن كان فيكم مريض القلب، معلول الغاية، مستور المطامع، مجروح الماضي، فأخرجوه من بينكم، فإنه حاجز للرحمة، حائل دون التوفيق**"[106]

والنبي ﷺ يوجه إلى البعد عن التظاهر بالأعمال، والتزام التجرد في الأعمال، قال الرسول ﷺ :" **إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، ينجون من كل غبراء مظلمة**"[107]

2-إحسان الظن بالآخرين

هو خلق إسلامي أصيل دعا إليه القرآن ونهانا عن ضده، حيث قال الله تعالى: " **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** "(الحجرات:12).

و عن أبي هريرة ﷺ قال الرسول ﷺ :" **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**

105-أليكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول، مؤسسة المعارف، بيروت، ص:161.

106-محمد أحمد الراشد: العوائق، ص:122.

107-رواه الحاكم في المستدرك عن معاذ، كتاب: الإيمان، 4/1، وقال صحيح ولا علة فيه، ووافقه الذهبي وأيده المنذري في الترغيب والترهيب.

"(108)

والظن المأمور باجتنابه هو اتهام الناس بارتكاب المنكرات بغير دليل راجح، وإدانتهم بالأوهام والشكوك وهي الظنون الضعيفة التي لا تقوى على الإدانة، وكذلك إدانتهم بظن راجح لكنه لا يقوى على الإدانة ...

والظن في اللغة يدل على كل ما دون اليقين حتى أسفل درجات الوهم ولذلك قال تعالى: " اجتنبوا كثيرا من الظن " أي اجتنبوا الظن الوهمي، والظن الذي هو من مرتبة الشك، واجتنبوا في الحكم على الناس الظن الراجح برجحان ضعيف لا يقوى على إدانتهم..."

،وقول الله تعالى : " **إن بعض الظن إثم**" بعد قوله "**اجتنبوا كثيرا من الظن**" هو بمثابة التعليل له، أي بما أن بعض الظن بالناس المفضي إلى اتهامهم بغير حق إثم، فالحيطة في الأمر للمحافظة على ظاهر عدالة المؤمنين تقضي باجتناب كثير من الظن، حتى لا يجر ذلك إلى اتهامهم بغير حق، وإلى الحكم بإثم لم يثبت ببينة شرعية.

وتتبع الظنون بالمؤمنين لا شك أنه يفضي إلى إصدار أحكام جائرة ضدهم، ومن شأنه أن يفسد العلاقات الاجتماعية، ويولد الأحقاد و العداوات،وهو من البواعث على رذيلة الغيبة، ومن مقطعات أواصر الأخوة الإيمانية(109)

فإحسان الظن بالآخرين من المبادئ الأخلاقية المهمة في التعامل بين المسلمين بعضهم ببعض، ويجب أن لا يكون اتجاه المسلم قائما على تزكية نفسه واتهام غيره، ... ومما يجب التحذير منه، ما يتصل باتهام النيات، والحكم على السرائر، فعلمها عند الله الذي لا تخفى

108-رواه البخاري في صحيحه ،كتاب :الأدب ،باب:ما ينهى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى :"ومن شر حاسد إذا حسد"(الفلق:5)،رقم:5604.

109-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط:2، 1407هـ/1987م،238/2-239.

عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية[110] .

3-البعد عن التعصب للرأي والأشخاص

إن التعصب حالة مرضية تدل على الكبر والإعجاب بالرأي من جهة، وعلى ضعف علمي وأخلاقي من جهة أخرى، وهي تمثل عائقا كبيرا، وحجابا حاجزا دون التعرف على الحقيقة أو الوصول إليها. والتعصب ينشأ عنه رذائل كثيرة، تؤثر على الإنسان في تعرفه على الخطأ كما يشير إلى ذلك بعض الباحثين:"والتعصب فضلا عما ينشأ عنه من رذيلة الكبر والاستكبار والغيبة والرياء والنفاق والكذب والحسد وحب الغلبة والمباهاة بالباطل، فإن أعظم أخطاره هو خطره على البحث العلمي والحقيقة، وعلى هدف الناقد نفسه في التعرف على الخطأ والصواب و الحق والباطل ،والحسن والقبح في موضوع نقده...،لأن تعصبه يغشي بصره وبصيرته عن رؤية الحقيقة، ويتحول إلى نوع من التشنج في الدفاع عن الهوى والمصلحة الشخصية .."[111] .

والتعصب كما يمكن أن يكون للرأي الشخصي، يمكن أن يكون تعصبا لأشخاص آخرين أو لآرائهم.

فعلى الناقد أن يتجرد من التعصب لرأيه الشخصي، فلا ينغلق داخل ذاته، ولا يصر على وجهة نظره إذا تبين له خطؤها، بل يجب أن يكون شعاره ما قاله الإمام الشافعي :"**والله ما أبالي أن يظهر الحق على لساني أو على لسان خصمي.**"[112]

إن التعصب للذات دليل على انتفاخ الأنا ودوران الإنسان حول ذاته، وهو طريق إلى الكبر والتفاخر والاختيال وهي أمور نهى الله تعالى عنها، قال تعالى:" **إن الله لا يحب كل مختال**

110-يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، مكتبة رحاب، الجزائر، ص:223،226.

111-حمدي عبد العالي :قيم النقد في الثقافة الإسلامية ،مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية،ع:15، س:06 1410هـ/1989م،ص:234-235.

112-يوسف القرضاوي:المرجع نفسه ، ص:200

فخور" (لقمان:8).

وما يقال عن التعصب للذات يقال عن التعصب للآخرين، فعلى الناقد أن يكون محليدا غير منتصر لأحد على أحد إلا بالحق، فالحق أحق أن يتبع من قول فلان أو فلان، وبالحق يعرف الرجال وليس العكس.

ويبين الغزالي أبو حامد انحراف المتعصبين للأشخاص وضلالهم عن الحق والصراط المستقيم فيقول: **" مهما نسبت الكلام إلى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وإن كان بطلا، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقا، فأبدا يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال"**[113].

4-الرفق واللين

والرفق هو ظاهرة خلقية يضادها العنف، وقد أوصى الإسلام بالرفق وحث عليه، ذلك لأن الرفق في النقد من شأنه أن يصلح ويعطي أفضل النتائج وأجود الثمرات، بخلاف العنف فمن شأنه أن يفسد ويعطي نتائج سيئة،ولذلك أوصى النبي ﷺ بالرفق في كل شيء ومع كل الناس، فعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهم عَنْهَا أَنَّ يَهُودَا أَتَوُا النَّبِيَّﷺ فقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَالَ: **مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ** "[114]

وما حضر الرفق في كلام أو فعل إلا جمله وحسنه فعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ** "[115] ،فالعنف في معاملة الناس يورث العداوات والأحقاد ورغبات الانتقام متى سنحت الفرصة لتنفيذه، أما الرفق في معاملة الناس، فهو يؤلف قلوبهم ويمتلك مودتهم ويطوعهم. ومن أجل ذلك أمرنا

113-أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1955م، ص:114.

114-رواه البخاري عن عائشة،كتاب:الأدب ،باب: لم يكن النبي ﷺ- فاحشا ولا متفحشا،رقم:5570.

115-رواه مسلم في صحيحه عن عائشة،كتاب :البر والصلة والآداب ،باب:فضل الرفق،رقم:4698

الرسولﷺ بالرفق في كل شيء فعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: **يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**"[116]

و عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ** "[117].

إن الرفق خلق يجب أن لا يفارق الإنسان في أثناء قيامه بعملية النقد وغيابه قد يؤدي إلى تعكير الأجواء، واستفزاز الآخر وتأليبه.

5-إطابة الكلام

إن صلاح النقد مرتبط ارتباطا قويا بسداد القول وطيبته، وحسن اختيار الألفاظ المناسبة، قال تعالى:"**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**" (الأحزاب:70-71) .لذلك يجب على الناقد أن يختار الألفاظ الطيبة اللينة،المألوفة والمحببة إلى النفس، كما قال الله تعالى :" **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** "(البقرة:83)،أي كلاما لطيفا وجميلا ونافذا ونافعا للدين والدنيا[118]

إن للكلمة الطيبة وقع خاص في النفوس، وأثر عميق فيها فهي"تقتحم على الإنسان أسوار نفسه المنيعة، وتستقر في سويداء قلبه ،وتبدأ في الانسياب إلى خلايا عقله وذاكرته فتغذيها وتبنيها واحدة،خاصة عندما تستجمع هذه الكلمة كل عوامل التأثير الفعال ،الذي

116-رواه مسلم في صحيحه عن عائشة ،كتاب: البر والصلة والآداب،باب:فضل الرفق،رقم:4696.

117- رواه الترمذي في سننه عن أبي الدرداء،كتاب: البر والصلة،باب: ما جاء في الرفق،رقم1936. قال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

118-رشيد رضا: تفسير المنار، 362/1.

يرقى بها إلى مستوى الفعل المنظور "[119]

والكلمة الطيبة تؤتي ثمارها و تحقق أهدافها حيثما وقعت ولذلك شبهها الله تعالى بالشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها،بينما شبه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة اليابسة و المجثوثة الجذور ،قال تعالى :" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ "(إبراهيم:24-26)

والكلام الطيب العف يجمل وله ثماره الحلوة مع الأصدقاء والأعداء جميعا ، فأما مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم ،ويستديم صداقتهم ،ويمنع كيد الشيطان أن يوهي حبالهم أو يفسد ذات بينهم كما قال تعالى :" وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا "(الإسراء:53)،إن الشيطان متربص بالبشر يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء ،وأن يجعل من النزاع التافه عراكا داميا ،ولن يسد الطريق أمامه كالقول الجميل.

وأما حسن الكلام مع الأعداء فهو يطفئ خصومتهم ،ويكسر حدتهم ،أو هو على الأقل يوقف تطور الشر واستطارة شرره قال تعالى:" وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ "(فصلت: 43) [120]، ولذلك أمر الله تعالى موسى – عليه السلام – و أخاه هارون بإلانة الكلام لفرعون، رغم طغيانه وجبروته لعله

119-الطيب برغوث :القدوة الإسلامية (فرضيتها،ضرورتها،السبيل إليها) ،دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنه، الجزائر، ط:1 ،1404هـ/1984م ،ص:64.

120- محمد الغزالي: خلق المسلم، مكتبة رحاب، الجزائر، ط:15، ص:80.

يلين فقال تعالى : " اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (طه:44)، أي فكلماه بكلام رقيق لين ليكون أوقع في نفسه، وأنجع في استجابته للدعوة، فبرقيق القول تلين قلوب الطغاة وتنكسر سورتهم [121]

والأمر بإطابة الكلام في السنة مستفيض، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ :كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ قَالَ: فَأَنْبِئْنِي بِعَمَلٍ إِنْ عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ: أَفْشِ السَّلَامَ وَأَطِبِ الْكَلَامَ وَصِلِ الْأَرْحَامَ وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ** " [122].

6- تجنب التجريح

على الناقد وهو يمارس عملية النقد ألا يلجأ إلى أسلوب الطعن والتجريح، واستعمال الكلمات القاسية لأن النقد الذاتي كما يقول مالك بن نبي :" يجب ألا يكون موقف عداء يتبادل فيه خصمان الشتم والضرب بالأقلام والجُمَلِ، بل موقفا فكريا يتبادل فيه اثنان آراءهما"[123].

وأسلوب التجريح والتعيير هو الذي يعبر عنه في القرآن الكريم بالفحش في الكلام، وقد نهى عنه الإسلام، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ انْبَسَطَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَكَلَّمَهُ فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا اسْتَأْذَنَ قُلْتَ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا دَخَلَ انْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ** .وفي رواية قال ﷺ :**يا عَائِشَةُ إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ يُكْرَمُونَ اتِّقَاءَ أَلْسِنَتِهِمْ** "[124]

121- تفسير المراغي، 114/6.

122-رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، مسند المكثرين،رقم:9996.

123-مالك بن نبي: في مهب المعركة ، (إرهاصات الثورة)، دار الفكر، الجزائر ودمشق، ط:1، 1412هـ/1991مص: 158.

124-رواه أبو داود في سننه عن عائشة،كتاب:الأدب،باب:في حسن العشرة،رقم:4160.

قال البغوي : وفي الحديث استعمال حسن العشرة حيث لم يواجه الرجل بما أسره غيبة، وعد استقبال الرجل بعيوبه من باب الفحش [125]

وقد أشار النبيﷺ إلى أن المومن لا يمكن أن يكون كلامه بذيئا ولا فاحشا، فعَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ**" [126]

كما أنه ﷺ جعل المسلم الحق هو الذي لا يؤذي الناس بلسانه وكلامه الجارح ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**"[127]

فالكلام الجارح القاسي مؤذ للنفوس، و منفر من قبول الحق، وموقع للعداوة والبغضاء بين الناس، لذلك كان لزاما على الناقد ألا يركز في نقده على ما يؤذي الآخرين ويهينهم ويقلل من قيمتهم، وعليه أن يتجنب التهكم والسخرية والاستفزاز للطرف الآخر ،بل عليه أن يتخير ألفاظه، ويراقب كلامه ويتجنب إلقاء الكلام دون مبالاة، لأنه ربما نطق بكلمة تسببت في فتنة كبيرة.

لذلك على الناقد وهو يسعى للوصول إلى الحق ألا يجرح مشاعر الناس بقول أو فعل وليحذر من مثل هذه الكلمات، أنا لست معك، لقد أخطأت، أو جانبت الصواب،أتحداك،لقد تجاوزت حدك،أخالفك، لقد خلطت بين كذا وكذا، لم أتوقع أن تهبط إلى هذا المستوى، يا جاهل، يا غبي ، يا قليل البضاعة، وما جرى مجراها من صيغ الإيذاء والإثارة، كما يجب الحذر من الكبر والتقعر في الكلام و طلب مساءلة الناس له،أو مناقشة خصم متفوق أمام الملأ، أو الرد على متحدث دون التأكد من رأيه، فيقوله ما لم يقل، أو

125-البغوي: شرح السنة، 142/13.

126- رواه الترمذي في سننه عن عبد الله،كتاب:البر والصلة ،باب:ما جاء في اللعنة،رقم:1900.قال أبو عيسى حديث حسن غريب

127- رواه البخاري في صحيحه ،كتاب:الإيمان ،باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده،رقم:9.

يقول نفس ما قال ،فيسخر منه ويضحك عليه الناس[128]

فعلى الناقد أن يكون كلامه في الجدال والمناقشة بالحسنى وبالكلام الطيب، والأدب الجم، والتواضع والهدوء، وعدم رفع الصوت وعدم إغاظة المقابل والاستهزاء به، وليبقى كلامه معه على مستواه العالي الرفيع الرقيق اللين المحبوب، الخالي من الفظاظة والخشونة، ولكن فيه قوة الإقناع ووضوح الحق [129].

7- الموضوعية

ويقصد بها العدل في الحكم على الأشخاص و الأفعال والأشياء أثناء ممارسة عملية النقد دون زيادة أو نقصان، ودون تحيز أو محاباة .وهي عكس الذاتية التي تعني الحكم على الشيء وفق ما يريده الشخص ويتخيله.

وقد أمرنا الله تعالى أن نحكم بالعدل دون تحيز حين قال:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(المائدة:8).

و يبين خالص حلبي بأن التقوى هنا معناها الانضباط بعد التحري من خلال أداة النقد الذاتي...والتحري الموضوعي يعني عمل عقلي جاد ،وهدوء وضبط نفس،والقدوم على أمر ما بغير مقدمات،وفي بحث أمر ما أن لا يكون بأسلوب تبريري إذا كان ممن نريد، أو محاولة إضعافه إذا كان ممن لا نحب[130]

يقول أبو حامد الغزالي:"مهما نسبت الكلام إلى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه و إن كان باطلا ،وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقا، فأبدا يعرفون الحق

128-الطيب برغوث:القدوة الإسلامية،ص:85.

129-عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ، ص:460.

130- خالص حلبي:في النقد الذاتي،ص:158.

بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال"[131]

فيجب على الناقد ألا يغالي أثناء نقده فيعظم ما هو صغير، أو يصغر ما هو عظيم، بل عليه أن يكون مقسطا منصفا للآخرين،ذلك لأن النقد ليس مجرد قول تمليه وتصحبه العاطفة"[132]، بل هو شهادة حق، والشهادة يطلب فيها العدل .

إن الموضوعية تقتضي كذلك أن يوزن الأشخاص بحسناتهم وسيئاتهم،فالشريعة كلها قد بنيت على مراعاة هذا التكافؤ واعتبار هذه الحقيقة في الترجيح،ورَبّ الناس يزن بهذا الميزان يوم القيامة ولكن البعض ينسى[133] كما قال "فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ"(القارعة:6-9)

إن غياب التقويم الكلي للإنسان وسيطرة التقويم الجزئي على الأذهان يؤدي إلى نتائج وخيمة، إذ يكفي أن يخطئ شخص ما خطأ، ولو كان بسيطا لشطبه من خريطة المجتمع وتاريخ الأمة، ويكفي كذلك أن يقوم شخص بعمل من الأعمال التي تصادف هوى في النفوس، أو تستغفل قطاعا من الناس ليدخل صاحبه تاريخ الأمة من أوسع أبوابه، وليُبَوَّأ مكانة مرموقة في المجتمع [134]

131-أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال،ص:114.

132-مالك بن نبي: في مهب المعركة، ص: 158.

133-محمد أحمد الراشد:العوائق،ص:139.

134-الطيب برغوث: القدوة الإسلامية، مرجع سابق، ص: 87-88.

ثانيا: الضوابط الموضوعية

وهي بعض الشروط الأولية والأسس الموضوعية التي تتعلق بعملية النقد الذاتي الجماعي ليكون مثمرا وناجحا.

فالنقد الذاتي ليس عملا عشوائيا ولا ارتجاليا، بل هو عمل دقيق يحتاج إلى تخطيط محكم، وهذا لا يتأتى إلا بتحديد الهدف من النقد وموضوعه وأشخاصه وكيفيته وزمن تنفيذه.

1-تحديد الهدف

فأول شيء يجب أن يكون واضحا قبل مباشرة عملية النقد الذاتي هو الهدف المحدد من هذا النقد، وإلى أي وجهة نريد أن نتوجه به، وإلى أية نهاية نريد أن نصل . وهكذا فإن الهدف يجب أن لا يكون غامضا وعاما، بل لا بد له من أهداف إجرائية محددة. يقول مالك بن نبي:" يفترض أن لا يكون النقد غامضا ملتويا مغلقا كلغز يكون مفتاحه في يد صاحبه فقط... بل يجب أن يكون برهانا واضحا بينا مفتوحا لكل عقل ... يفهمه كي يستفيد منه عن علم أو ليرفضه عن يقين"[135]

ومن غير تحديد الهدف يمكن للنقد أن يتحرك في جميع الاتجاهات دون ضابط ولا مبرر واضح، ومن ثم يكون مآله الفشل.

2- العلم بموضوع النقد

وموضوع النقد هو الشيء الثاني الذي يجب أن يحدده الناقد تحديدا دقيقا، وأن يتعرف عليه تعرفا عميقا، مما يجعله يعرف كيف يبدأ النقد وكيف يخوض فيه وكيف ينتهي منه، في

135-مالك بن نبي: في مهب المعركةص:158.

وضوح الرؤية وهدوء الفكر وقوة الحجة ووداعة الكلمة [136].

يقول الله تعالى:" **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**" (الإسراء:36)، قال ابن كثير :" لا تقل رأيت و لم تر، وسمعت و لم تسمع، وعلمت و لم تعلم فإن الله سائلك عن ذلك كله"[137] .وقال ابن باديس في معنى الآية: " **نهانا عن أن نعتقد إلا عن علم أو نفعل إلا عن علم أو نقول إلا عن علم** "[138] ، وقال سيد قطب في تفسير الآية :" **لا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، ولم تتثبت من صحته من قول يقال أو رواية تروى أو ظاهرة تفسر أو واقعة تعلل...** "[139] .

وقد نعى القرآن الكريم على الذين يجادلون في مواضيع لا علم لهم بها، أو لا يعرفونها بما فيه الكفاية، كما قال تعالى:" **هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**" (آل عمران:66).قال القرطبي في معنى الآية:"في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده"[140].

والنقد الجماعي يأخذ- في شق منه- صورة الشهادة على الناس ،والعلم بموضوع الشهادة عنصر أساسي من عناصرها،فالشهادة كما يقول الأصفهاني :"قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر "[141] ،والشاهد هو العلم الذي يبين للناس"[142] ، وحينما

136-محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن(قواعده، أساليبه، معطياته)، دار المنصور للنشر، قسنطينة، الجزائر، 50/1.

137-تفسير ابن كثير، 3070/4.

138-ابن باديس عبد الحميد: مجالس التذكير من كلام العليم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة ، الجزائر، 1402هـ/1982م، ص: 104.

139-سيد قطب: في ظلال القرآن، 2227/4.

140-القرطبي :جامع لأحكام القرآن،70/4.

141-الأصفهاني :المفردات،ص:465.

142-ابن منظور : لسان العرب،مادة :شهد

يكون النقد شهادة على الناس وأعمالهم، فإن العلم يبقى عنصرا أساسيا فيه، ذلك أن الشهادة على الناس هي في حقيقتها إظهار للحق وتبيينه وتبليغه لهم[143] .

3- توفير الجو المناسب للنقد

وذلك بتوفير جو الحرية والتفكير الهادئ والمستقل، بحيث لا يكون التفكير مكبلا بقيود توجهه إلى وجهة خاصة بعينها وتمنعه من أن يتجه إلى غيرها من الوجهات[144].ويتم ذلك عن طريق تجنب خلق الأجواء الانفعالية التي تربك ذهن الإنسان وتقفز بالعاطفة إلى المقدمة وتجعلها تسيطر وتحدث كل أنواع الخلل في الإدراك والتفكير، من عدم استيعاب الرأي الآخر، وربما استيعابه بصورة عكسية، والتحيز والتسرع في الأحكام، والتأثر العاطفي غير الموضوعي[145] ، فيخضع الإنسان بذلك في قناعاته وأفكاره للجو الاجتماعي الذي تنطلق فيه الجماعة في أجواء انفعالية حماسية لتأييد فكرة معينة، أو رفض فكرة خاصة، فيستسلم الإنسان لها استسلاما لا شعوريا كنتيجة طبيعية لانصهاره في الجو العام وذوبانه فيه، الأمر الذي يفقد فيه استقلاله الفكري وشخصيته المميزة، فيعود ظلا باهتا للجماعة[146] .

والأجواء الانفعالية التي لا تساعد على النقد البناء قد تصنع داخل جلسة النقاش والحوار والنقد أثناء عقدها، وقد تخلق هذه الأجواء قبل انعقاد الجلسة وذلك بتسليط القداسة على آراء أشخاص أو أطراف معينة في الجماعة، الشيء الذي يؤدي إلى نوع من الإرهاب النفسي والفكري مما يفقد الطرف الناقد حرية الحركة الفكرية،حيث يشعر هذا الأخير بالانسحاق أمام شخصية الطرف الآخر لما يحس به في أعماقه من عظمة كبيرة مطلقة له، فتتضاءل إزاء ذلك ثقته بنفسه، وبالتالي ثقته بفكره، فيتجمد ويفقد حريته وقدرته على الحركة، فيتحول

143-ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 21/2.

144-عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري، 177/2.

145-سعد الدين العثماني: في فقه الحوار ، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، المغرب، ط:2، 1416هـ/1996م، ص:29.

146-محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، 44/1.

إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر[147].

وقد حاول الرسول ﷺ أن يوفر هذا الشرط للآخرين، فلقد أكد القرآن الكريم بشريته في كثير من المناسبات، فهو بشر مثلهم لا يملك أية قوة غير عادية في تكوينه الذاتي، ولا يعلم الغيب، ولا يستطيع اجتراح المعجزات، بل كل ما في الأمر أن هناك وحيا ينزل من الله باعتبار أنه رسول من صاحب هذا الوحي، قال الله تعالى:" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ " (الكهف:110)

فتهيئة الجو الهادئ للنقد والنقاش الذي يشعر فيه كل طرف باستقلالية فكره وثقته في نفسه وحرية إرادته هو من بين أهم الشروط الأساسية لنجاح عملية النقد الجماعي.

4- التوقيت المناسب

إن النقد الذاتي الجماعي عمل متواصل في كل الأوقات، إلا أن هناك من المواضيع ما يحتاج إلى تحين الفرص له، وذلك لضمان الحد الأدنى من التوفيق والنجاح.

فالتوقيت المناسب هو اختيار أفضل الأوقات التي تكون فيها الظروف المحيطة مهيأة لممارسة عملية النقد حتى تؤتي ثمارها المرجوة. فالنقد لا يمكن أن يجري في أي وقت وينجح، بل لا بد من اختيار الوقت المناسب الذي تكون فيه درجة الانفتاح والقبول لدى الطرف الآخر مرتفعة.

147-محمد حسين فضل الله: المرجع السابق، 36/1.

ملخص البحث

هذا الموضوع يتناول قضية في مناهج الدعوة والتغيير، وهي: أهمية النقد الذاتي ودوره في التغيير الإسلامي، وتناولت هذا الموضوع في أربعة فصول متكاملة:

أما **الفصل التمهيدي** فكان الهدف منه تحديد بعض المداخل الضرورية للبحث ، وقد خصصته لدراسة موضوع التغيير لإسلامي والنقد الذاتي في حد ذاته تحت عنوان: "**التغيير الإسلامي والنقد الذاتي: المفاهيم والمحددات**" ، حيث أوضحت المعاني اللغوية المحتملة لكل منهما على حده، ثم أوردت بعض التعاريف الاصطلاحية للتغيير، وبينت بعض محدداته الرئيسية؛ من حيث المنهج والأهداف والإطار المرجعي، وغيرها... والتي تحدد خصائصه ومميزاته التي تميزه عن غيره من المناهج التغييرية، لأخلص بعد ذلك إلى التعريف الاصطلاحي المختار له والذي بنيت عليه مادة البحث، حيث عرفته بأنه:"**تلك الجهود المنهجية والمنظمة، والهادفة إلى إحداث تحويل جذري وشامل للواقع الفكري والسلوكي والاجتماعي، قصد تكييفه مع منهج الإسلام ومقاصده**"

كما استفدت من بعض التعريفات الاصطلاحية للنقد الذاتي عند المعاصرين، وبينت أنه يختلف عن بعض المصطلحات المقاربة له والتي تعبر عن جانب من جوانبه، أو حالة من حالاته، كمحاسبة النفس، المراجعة، المناصحة، الشورى، الحوار، لأصل في الأخير إلى تحديد المعنى الاصطلاحي للنقد الذاتي كما أتصوره، وهو المعنى الذي بنيت عليه أفكار البحث، حيث عرفته بأنه: **عملية مراجعة الأفراد والجماعات والمؤسسات لمسيرتهم وأدائهم ومناهجهم، ومحاكمتها إلى معايير محددة، والالتفات إلى دور العوامل الداخلية فيها.**

بعد ذلك حاولت أن أضبط مجموعة من المحددات والخصائص التي تضبط مفهوم النقد الذاتي، وهي تتضمن:

1- موضوع النقد الذاتي: أي الشيء الذي يسلط عليه النقد، وهو هنا العمل الإنساني سواء كان فرديا أو جماعيا، والفردي سواء كان ممثلا في جانبه المادي الظاهري، أو جانبه الغائي الإجرائي.

ملخص البحث

هذا الموضوع يتناول قضية في مناهج الدعوة والتغيير، وهي: أهمية النقد الذاتي ودوره في التغيير الإسلامي، وتناولت هذا الموضوع في أربعة فصول متكاملة:

أما **الفصل التمهيدي** فكان الهدف منه تحديد بعض المداخل الضرورية للبحث ، وقد خصصته لدراسة موضوع التغيير لإسلامي والنقد الذاتي في حد ذاته تحت عنوان: "**التغيير الإسلامي والنقد الذاتي: المفاهيم والمحددات**" ، حيث أوضحت المعاني اللغوية المحتملة لكل منهما على حده، ثم أوردت بعض التعاريف الاصطلاحية للتغيير، وبينت بعض محدداته الرئيسية؛ من حيث المنهج والأهداف والإطار المرجعي، وغيرها... والتي تحدد خصائصه ومميزاته التي تميزه عن غيره من المناهج التغييرية، لأخلص بعد ذلك إلى التعريف الاصطلاحي المختار له والذي بنيت عليه مادة البحث، حيث عرفته بأنه:"**تلك الجهود المنهجية والمنظمة، والهادفة إلى إحداث تحويل جذري وشامل للواقع الفكري والسلوكي والاجتماعي، قصد تكييفه مع منهج الإسلام ومقاصده**"

كما استفدت من بعض التعريفات الاصطلاحية للنقد الذاتي عند المعاصرين، وبينت أنه يختلف عن بعض المصطلحات المقاربة له والتي تعبر عن جانب من جوانبه، أو حالة من حالاته، كمحاسبة النفس، المراجعة، المناصحة، الشورى، الحوار، لأصل في الأخير إلى تحديد المعنى الاصطلاحي للنقد الذاتي كما أتصوره، وهو المعنى الذي بنيت عليه أفكار البحث، حيث عرفته بأنه: **عملية مراجعة الأفراد والجماعات والمؤسسات لمسيرتهم وأدائهم ومناهجهم، ومحاكمتها إلى معايير محددة، والالتفات إلى دور العوامل الداخلية فيها.**

بعد ذلك حاولت أن أضبط مجموعة من المحددات والخصائص التي تضبط مفهوم النقد الذاتي، وهي تتضمن:

1- موضوع النقد الذاتي: أي الشيء الذي يسلط عليه النقد، وهو هنا العمل الإنساني سواء كان فرديا أو جماعيا، والفردي سواء كان ممثلا في جانبه المادي الظاهري، أو جانبه الغائي الإجرائي.

2- ومستوياته: بحيث أننا إذا تأملنا المستويات التي يشملها النقد في مجال التغيير، فإنه سيتبين لنا أن هناك نوعين من النقد؛ نقد فردي يقوم به الشخص تجاه نفسه، ونسميه النقد الفردي، ونقد تقوم به المؤسسة تجاه ذاتها، ونسميه التلاوم الجماعي.

3- ومجالاته: ويقصد بها الجوانب التي يتعرض لها النقد، وقد حددتها في ثلاثة عناصر؛ النقد من جهة الفعل والترك، النقد من جهة كيفية الفعل، نقد الذات من جهة المسار.

ثم حاولت أن أقف على واقع النقد الذاتي ضمن جهود التغيير الإسلامي، و تناولت فيه ثلاثة عناصر هي: غياب ممارسة النقد الذاتي، وبوادر الاهتمام بالنقد الذاتي ، والتدريب على ممارسة النقد الذاتي.

أما الفصل الأول والذي كان بعنوان:"**جذرية التغيير الإسلامي وأهمية النقد الذاتي**" لتنطلق الدراسة من خاصية من خصائص التغيير الإسلامي، وهي خاصية الجذرية، والتي تعني ارتكاز الإسلام على العوامل الداخلية في تغيير الواقع، لتبين أهمية النقد الذاتي كعملية رجوع مستمرة إلى هذه العوامل الداخلية والارتكاز عليها لإحداث التغيير المطلوب، وتصويب مسيرته باستمرار . وقد تناولت هذا الفصل في ثلاثة مباحث أساسية:

1- **العوامل الداخلية ودورها في التغيير**:حيث عرفت العوامل الداخلية بأنها **تلك العنصر الفاعلة والمؤثرة في الشيء أو الفعل، والتي تشكل الأسباب الجوهرية في حدوث الأفعال والظواهر.** ثم بينت أثر العوامل الداخلية في التغيير عموما، من خلال تناول مجالات أربعة؛ في مجال المادة، وفي مجال العضوية البدنية، وفي المجال النفسي، لنخلص إلى المجال الاجتماعي والذي هو موضوع بحثنا هذا ، لنبين بأن العوامل الداخلية تؤثر في العملية التغييرية في اتجاهين؛ في اتجاه السقوط والهدم، وفي اتجاه الصعود والبناء.

2-**الطبيعة الجذرية للتغيير الإسلامي**: حيث حددنا مفهوم جذرية التغيير الإسلامي، وأنها **تعني العمل على تحقيق التغيير الأصيل الذي يأتي المشكلات من مفاصلها، ويحسم مادة المرض من أصولها البعيدة في النفس والمجتمع، ولا يرضى بالتغييرات الأفقية والشكلية والقشرية التي لا تلتفت إلى أسباب المشكلات، وإلى دور العوامل الداخلية فيها** لنبين بعد ذلك بأنها خاصية أقرها القرآن الكريم في نصوصه ومنهجه، كما أكدتها سيرة الرسول في

خطوات واضحة ومواقف بينة.ولأجل تجلية فكرة جذرية التغيير الإسلامي على مستوى الإنسان والمجتمع، تحدثنا على أن تغيير ما بالأنفس أساس تغيير الإنسان والمجتمع، إذ أن بناء النفس أساس إصلاح الإنسان، وان بناء الإنسان اساس إصلاح المجتمع لنخلص إلى أن إصلاح المجتمع هو أساس التمكين.

3-**دواعي النقد الذاتي وأهميته:** وقد أوضحت فيه الدواعي الشرعية والموضوعية للنقد الذاتي، وكذا أهميته على المستوى الفردي وعلى المستوى لجماعي، كما تناولت فيه مخاطر ومضاعفات غياب النقد الذاتي على المستويين الفردي والجماعي.

أما الفصل الثاني فخصصته لمؤيدات النقد الذاتي: وقد أوردت فيه بعض المؤيدات التي تؤكد أولوية اعتبار العوامل الداخلية، وأصالة فكرة النقد الذاتي، وأنه جزء من المنهج الإسلامي عموما والدعوة الإسلامية خصوصا.

المؤيد الأول: حيث أن النقد يأخذ تأييده الأول من منهج نزول لقرآن الكريم؛ أين سبق نزول آيات العقيدة آيات الأحكام، وكذا تدرج منهجه في بناء المجتمع والدولة، حيث سبقت فترة بناء الإنسان فترة مواجهة التحديات الخارجية المتمثلة في القوى المناوئة من المشركين والكفار.

أما المؤيد الثاني: فنأخذه من نصوص الوحي الشريف كتابا وسنة، وما يزخر به من عدد هائل من النصوص التي تؤكد فكرة النقد الذاتي، سواء النصوص التي تدعوا إلى النقد الذاتي، أو النصوص التي تبين دور العوامل الداخلية في التغيير، وسواء التي تؤكد أهمية العودة إلى الذات وتغييرها ليحصل التغيير الخارجي نحو الأفضل، أو النصوص التي تبين دور الذات الداخلية في حصول المصائب ووقوع الأزمات.

المؤيد الثالث: ونأخذه من سيرة الأنبياء عليهم السلام، حيث ضمنته نماذج من حياته ﷺ تؤكد أهمية النقد والمراجعة، ثم أوردت مجموعة من صور المحاسبة في حياة بعض الأنبياء عليهم السلام

كما نأخذ المؤيد الرابع من سيرة الصحابة ﷺ حيث دأبوا على بعد أن تولوا مقاليد الخلافة على التزام مبدأ نقدهم لذواتهم، وحثهم للرعية على ضرورة ممارستهم للنقد الجماعي.

أما المؤيد الخامس والأخير فقد أخذته من بعض إسهامات الفكر الإسلامي في التربية والدعوة والتغيير، حيث ضمنته عددا من المواضيع التي أنتجها علماء الإسلام على مر التاريخ، والتي تبين دور النقد الذاتي في العمل الفردي والجماعي، واكتفيت بذكر أربعة منها وهي المحاسبة، التوبة، مراتب الجهاد، الجرح والتعديل.

أما الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن بعض المقاييس والمعايير التي يرجع إليها في محاكمة الأعمال والسلوكيات عند ممارسة النقد الذاتي، وتحديد الضوابط العملية والأخلاقية لعملية النقد الذاتي الفردي والجماعي، هذه الضوابط التي تضبط ممارسة النقد فلا ينحرف عن أهدافه، وحتى تؤتي هذه العملية ثمارها، فكان الفصل الثالث بعنوان: **معايير النقد الذاتي وضوابطه** أوردت فيه أصناف المعايير، وأوضحت فيه بأن المعايير الأساسية التي يجب أن نحاكم إليها أعمالنا هي نوعين:القيم الشعورية المعنوية والتي يعبر عنها بالإخلاص وتجريد القصد ونبل الغاية. والقيم العملية التي تعبر عن الحسن الظاهري للفعل .ومن ثم اتجهنا إلى تحديد معايير مراجعة النية، ومعايير مراجعة العمل ومعايير مراجعة إنجاز العمل. أما الضوابط والآداب فقد حددناها على المستويين؛ آداب وضوابط النقد الذاتي الفردي، وآداب وضوابط النقد الذاتي الجماعي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

فالآن وقد تمت كتابة هذه الرسالة نوجز في خاتمتها أهم النتائج العامة لهـــذا البحث، وأهم الآفاق التي نرجوها له في المستقبل.

أ- أول هذه النتائج هي أن التغيير الإسلامي هو تغيير جذري يرتكز علـــى العوامل الداخلية في تغيير الواقع.

ب- وثاني هذه النتائج هي أصالة فكرة النقد الذاتي وأنه جزء مـــن المنـــهج الإسلامي عموما ومنهج الدعوة الإسلامية خصوصا.

ج- وثالث هذه النتائج هي أن ممارسة النقد الذاتي عمل دقيـــق يحتـــاج إلى أدب عال من الفقه والعلم، وهو بصفة خاصة أحوج ما يكـــون إلى منـــهج علمي محدد وواضح.

أما الآفاق التي أرجوها لهذا البحث في المستقبل فهي:

أولا: تأصيل فكرة النقد الذاتي أكثر من مختلف مظانها، لتصبح صبغة للفكـــر الإسلامي عامة ولمنهج الدعوة والتغيير خاصة .

ثانيا: تطوير هذا الموضوع من مجرد طرح إلى نظرية في مناهج الدعوة تُـــدرس وتُمارس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

رقم الآية	سورة البقرة	الصفحة
44	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ	98
83	وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا	176
185	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	167-166
190	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا	89
195	وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ	166
216	وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا	66
283	وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ	69
	سورة آل عمران	
165	أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى	99،48
30	"يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا	
66	هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ	183
103	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ	101
135	وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ	119،95
137	قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا	142
152	حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم	50،49
159	فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ	107،75،68
164	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ	118
185	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	135
	سورة النساء	
28	وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا	66
43	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى	136

76	إن كيد الشيطان كان ضعيفا	103
77	كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	88،59
79	وما أصابك من سيئة فمن نفسك	100،48
83	ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه	140
135	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله	69
	سورة المائدة	
8	ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط	180
105	ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم	154
	سورة الأنعام	
54	كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا	96
120	وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون	168
	سورة الأعراف	
16	قال فبما أغويني لأقعدن لهم صراطك المستقيم	109
23	قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا	109
52	ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم	81
79	ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم	163
149	فلله الحجة البالغة	118
168	وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون	89
179	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب	70
	سورة الأنفال	
46	وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم	98،79
53	ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى	94،48 ،9
	سورة التوبة	
19	أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله	144

25	لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ	108
46	وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً	137
54	وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ	137
	سورة يونس	
53	إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ	156
56	وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ	125
87	وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ	158
88	إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ	14
108	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي	70
	سورة الرعد	
11	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ	4،45،13،11،10 94،82،61،51،6
17	فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ	132
	سورة إبراهيم	
22	وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ	100
24	أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ	177
	سورة الحجر	
39	"قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ	99
42	إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ	99
	سورة النحل	
76	وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء	150
97	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً	23
	سورة الإسراء	
11	وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا	66

36	ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد	183
53	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم	177
65	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا	99
105	وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا	80
106	وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا	80
	سورة الكهف	
49	ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه	164،163،161
110	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد	185
	سورة طه	
7	فإنه يعلم السر وأخفى	160
44	اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر	178
59	قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى	148
71	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم	53
72	قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا	53
	سورة الأنبياء	
47	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس	161
87	وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه	110
95	وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون	90
	سورة الحج	
39	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله	85
40	ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز	124
41	الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة	124
	سورة النور	
30	وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون	119،67

55	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم	61
63	فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم	139
	سورة الفرقان	
02	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا	141
32	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً	82،81
33	وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا	82،81
	سورة الشعراء	
44	بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ	52
	سورة القصص	
16	قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ	109
67	فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ	133
77	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا	166
	سورة العنكبوت	
69	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ	51
	سورة الروم	
41	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ	89
	سورة لقمان	
8	إن الله لا يحب كل مختال فخور	175-174
	سورة السجدة	
21	وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ	90
24	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا	123
	سورة الأحزاب	
37	وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ	103

52	وكان الله على كل شيء رقيبا	160
70	ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا	176
	سورة فاطر	
6	إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا	122
8	أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا	136
10	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه	132
	سورة يس	
38	والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم	23
	سورة ص	
17	"واذكر عبدنا داوود ذا الأيد إنه أواب	107
24	وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب	110
25	فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب	110
82	قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين	99
83	إلا عبادك منهم المخلصين	99
	سورة الزمر	
2	إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين	138
53	قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا	158
	سورة فصلت	
43	ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن	177
	سورة الشورى	
30	وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير	96
38	وأمرهم شورى بينهم	68
	سورة محمد	
30	ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم	43

جامعة الأمير سطام للعلوم الإسلامية

33	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا	139
	سورة الحجرات	
12	وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا	126
12	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ	172
17	بَلْ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ	118
	سورة الذاريات	
20	وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ	142
21	وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	142
49	وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	65
	سورة الحديد	
4	وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ	160
	سورة المجادلة	
6	يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ	161
	سورة التحريم	
1	يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ	102
	سورة الملك	
02	لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا	30
	سورة القلم	
28	قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ	91
30	فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ	27
	سورة القيامة	
2	وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ	168
14	بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	سورة النبأ	
10	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا	169
11	وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا	169
	سورة عبس	
1	عَبَسَ وَتَوَلَّى	107
	سورة المطففين	
14	كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	157
	سورة الشمس	
7	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا	58
8	فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا	58
9	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا	58
10	وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا	58
	سورة التين	
04	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقوم	159
05	ثم رددناه أسفل سافلين	159
	سورة القارعة	
06	فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ	181

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس أطراف الحديث مرتبة ألفبائيا

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1.	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى	23
2.	أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟	56، 104
3.	أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ،	151
4.	أخاف أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصابه	145
5.	إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ"	105
6.	ما لأحد عندنا من يد إلا وقد كافأناه بها،	111
7.	إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ	70
8.	إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ	154
9.	إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ	72
10.	أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا	69
11.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ	138
12.	الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ	105
13.	إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ	167،168
14.	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا	172
15.	ائذنوا له،بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة،فلما دخل ألان له الكلام	127
16.	اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا	167
17.	الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَوْضَعُهَا	145
18.	الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ	26، 73
19.	اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي	158
20.	اللهم اجعل أيامي يوم ألقاك، وخير عمري أواخره، وخير عملي خواتمه"	31
21.	الدِّينُ النَّصِيحَةُ،	163

22.	كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا	44
23.	كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ	178
24.	كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ	157
25.	كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ	139
26.	لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا	67
27.	لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالًا ثُمَّ لَا يَقُولُهُ	67
28.	لَا يُصِيبُ عَبْدًا نَكْبَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أَوْ دُونَهَا إِلَّا بِذَنْبٍ وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ	97
29.	لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ"	72
30.	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ	150،72
31.	الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ	69،162
32.	الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ	179
33.	مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"	124
34.	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا	157
35.	بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا	154
36.	عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ	152
37.	قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دعوتني	158
38.	كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ	66
39.	الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ	59
40.	لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ	179
41.	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ	57
42.	أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ	155
43.	إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه	147
44.	إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين إن غابوا لم يفتقدوا،	172
45.	أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك	147

46.	أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ	136
47.	إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ	162
48.	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا	167
49.	إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ	175
50.	إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ	157،76
51.	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ	147
52.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ	140
53.	بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ،	178
54.	الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ "	69
55.	مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ	176
56.	من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شر من أمسه فهو ملعون،	31-30
57.	مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ وَيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ	171
58.	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ	95
59.	لَوِ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا"	105
60.	مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ	67
61.	مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ	139
62.	هِيَ فِي النَّارِ	29
63.	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ	159
64.	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ	78
65.	وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ	122
66.	مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ"	124
67.	النَّدَمُ تَوْبَةٌ	120
68.	مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ	175
69.	هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ،	167

.70	وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه	144
.71	يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ	119
.72	يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ	105
.73	يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويُعْطِي على الرِّفْقِ	176
.74	يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ	92
.75	يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ	151
.76	يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا،	47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

مرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب أسماء مؤلفيها

1. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل،بيروت،ط :1، 1411هـ/1991م.
2. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط،دار الدعوة ،استنبول، 1409هـ/1989م.
3. أبو داود سليمان بن الأشعث: السنن، دار الجنان، بيروت، ط:1، 1409هـ/1988م.
4. أبو شقة عبد الحليم:حول أزمة خلق المسلم المعاصر، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، الجزائر، 1409هـ/1989م
5. أليكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول، مؤسسة المعارف، بيروت،.
6. أنس أحمد كرزون: منهج الإسلام في تزكية النفس،دار ابن حزم، بيروت، ط:2، 1418هـ/1997م.
7. ابن أبي الدنيا: محاسبة النفس
8. ابن أبي طالب علي:نهج البلاغة، دار التعارف للمطبوعات، ط:1 ، 1410هـ /1990م
9. ابن أبي عاصم: كتاب الزهد الكبير ،تحقيق:عامر أحمد حيدر ،مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت،ط:3،1969م
10. ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك .
11. ابن الجوزي: تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، ط:1، 1403هـ
12. ابن القيم :الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1393هـ/1973م.
13. ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ،المكتبة الثقافية، بيروت
14. ابن القيم: الروح ،دار القلم،بيروت ، ط:2، 1403هـ/1983م
15. ابن القيم: الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، دار الكتب العلمية، بيروت،
16. ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،تحقيق وضبط:أحمد فخري الرفاعي،وعصام فارس الحرستاني،دار الجيل ،بيروت،،1/198.
17. ابن المبارك عبد الله: الزهد لابن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت، ت: عبد الرحمن أعظمي
18. ابن باديس عبد الحميد: مجالس التذكير من كلام العليم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة ، الجزائر، 1402هـ/1982م
19. ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، دار المعرفة، بيروت، ط:1، 1386هـ، تحقيق: حسنين محمد مخلوف
20. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ، مكتبة المعارف، المغرب
21. ابن تيمية:رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
22. ابن جماعة:المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق:محي الدين عبد الرحمان رمضان،دار الفكر ،دمشق،ط:2، 1406هـ/1986م
23. ابن حنبل أحمد : المسند، وبهامشه منتخب كنز العمال، دار صادر، بيروت.
24. ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م
25. ابن عبد السلام عز الدين: قواعد الأحكام في مصالح الأنام،مؤسسة الريان، بيروت،ط:1410هـ/1990م،
26. ابن قتيبة :عيون الأخبار
27. ابن كثير: مختصر تفسير ،اختصار وتحقيق:محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم ،بيروت،ط:7 ،1402هـ/1981م.
28. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: السنن، دار المعارف، بيروت، ط:1، 1416هـ/1996م.

29. ابن نبي مالك:وجهة العالم الإسلامي، ترجمة :عبد الصبور شاهين،دار الفكر ،الجزائر،ط:5، 1406هـ/1986م
30. ابن نبي مالك: الظاهرة القرآنية، دار الفكر دمشق سوريا، ط:4، 1420هـ/2000م
31. ابن نبي مالك: القضايا الكبرى، دار الفكر، الجزائر، ط1، 1412هـ/1991م
32. ابن نبي مالك: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين،دار الفكر،دمشق والجزائر، ط:4، 1407هـ/1987م
33. ابن نبي مالك: في مهب المعركة ، (إرهاصات الثورة)، دار الفكر، الجزائر ودمشق، ط:1، 1412هـ/1991م.
34. ابن نبي مالك: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، الجزائر ودمشق، ط:1، 1412هـ/1991م
35. ابن نبي مالك: مشكلة الثقافة، دار الفكر، الجزائر ودمشق، ط:1، 1412هـ/1991م
36. ابن نبي مالك: ميلاد مجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية)، دار الفكر، الجزائر ودمشق، ط:1، 1412هـ/1991م
37. ابن نبي مالك:تأملات، دار الفكر، الجزائر ودمشق، ط:1، 1412هـ/1991م،
38. ابن هشام: السيرة النبوية، (اختصار محمد عفيف الزعبي)، دار النفائس بيروت ط:2، /1399هـ/1979م
39. الإبراهيمي أحمد طالب: اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط:1،1997م
40. الأجري أبو بكر : أدب النفوس.
41. الأصفهاني الراغب:معجم مفردات القرآن، تحقيق :نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي
42. البخاري أبو محمد عبد الله محمد بن إسماعيل : الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض،1419هـ/1998م.
43. البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية، دار الفكر، الجزائر، ط:11، 1412هـ/1991م
44. البيهقي أبو بكر: شعب الإيمان، تحقيق:محمد السعيد بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية، بيروت،ط:1،
45. الترمذي محمد بن عيسى: السنن، دار الكتب العلمية، بيروت
46. الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، 1412هـ/1991م
47. الحنبلي ابن رجب:جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم،تحقيق:شعيب الأرناؤوط وابراهيم بلجس،دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر،ط:1، 1411هـ/1991م
48. الرازي : مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط:2، 1411هـ/1990م
49. الراشد محمد أحمد: العوائق، دار الشهاب باتنة، 1988م
50. الزحيلي وهبة:التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر ،بيروت ودمشق، ط:1 ،1411هـ/1991م
51. الزرقا مصطفى أحمد: المدخل الفقهي العام، دار الفكر، ط:10،1387هـ/1968م
52. الزرقاني محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن،.
53. السلمي علي : الإدارة المعاصرة، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، د.ت
54. السيوطي جلال الدين: تدريب الراوي.
55. السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت.
56. الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت
57. الشاطبي: الاعتصام
58. الصالح صبحي: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، ط:12، 1401هـ/1981م
59. الطبراني: المعجم الأوسط
60. الطبري محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت،ط:3، 1411هـ/1991م
61. الطبري محمد بن جرير :جامع البيان في تأويل القران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1412هـ/1992م
62. العثماني سعد الدين: في فقه الحوار ، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، المغرب، ط:2، 1416هـ/1996م
63. العسقلاني ابن حجر: فتح الباري، دار المعرفة بيروت، ط:1379م

64. الغزالي أبو حامد: المنقذ من الضلال، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1955م
65. الغزالي محمد : الجانب العاطفي من الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر ، 1990م
66. الغزالي محمد: خلق المسلم، مكتبة رحاب، الجزائر، ط:15، ص:80.
67. الغزالي محمد: عقيدة المسلم، دار القلم، دمشق، ط:10، 1420هـ/1999م
68. الغزالي محمد: فقه السيرة، دار رحاب، الجزائر، ط:1407هت/1987م
69. الغزالي محمد:جدد حياتك، دار البعث، قسنطينة،الجزائر، ط:3، 1406هـ/1986م.
70. الغزالي محمد:مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ،دار القلم دمشق، الطبعة:3، 1419هـ/1998م
71. الفتلاوي مهدي: التوبة والتائبون
72. الفيروزآبادي :القاموس المحيط،دار العلم للجميع،بيروت.
73. الفيروزآبادي :بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، المكتبة العلمية ،بيروت
74. القرشي علي:التغيير الاجتماعي عند مالك ابن نبي،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،ط:1،1409هـ/1989م
75. القرضاوي يوسف: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، مكتبة رحاب، الجزائر
76. القرضاوي يوسف: في فقه الأولويات(دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة)، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420هـ/1999م
77. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري :الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ/1985م
78. الكفوي : الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)،مؤسسة الرسالة ،ط:2، 1413هـ/1993م.
79. الكيلاني ماجد عرسان:أهداف التربية الإسلامية ،مؤسسة الريان،بيروت،1419هـ/1998م
80. الكيلاني ماجد عرسان:هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي،
81. الماوردي : أدب الدنيا والدين
82. المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت،
83. المغربي كامل محمد: السلوك التنظيمي –مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم – دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1413هـ/1993م
84. الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط:2، 1407هـ/1987م
85. النجار عبد المجيد: عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1999م
86. النسائي، أحمد بن شعيب: السنن، بشرح السيوطي وحاشية السندي، دار الفكر ، بيروت، ط:1 1348هـ/1930م.
87. النووي، أبو زكريا يحي بن شرف: شرح صحيح مسلم، مراجعة الشيخ خليل المس، دار القلم، بيروت، ط:1
88. النووي ، أبو زكريا يحي بن شرف: الأذكار، مكتبة النهضة الجزائرية، 1988م
89. باقر الصدر محمد:المدرسة القرآنية،دار التعارف للمطبوعات،بيروت
90. برغوث الطيب :القدوة الإسلامية (فرضيتها،ضرورتها،السبيل إليها) ،دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنه، الجزائر، ط:1 ،1404هـ/1984م
91. برغوث الطيب :موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي ،دار الينابيع للنشر والتوزيع،الجزائر،ط:1،1413هـ/1993م
92. برغوث الطيب: الأبعاد المنهجية إشكالية التغير الحضاري وضرورة المنهج، دار الينابيع للنشر والإعلام، الجزائر ،ط:1،1414هـ/1993م
93. برغوث الطيب: التغيير الإسلامي خصائصه وضوابطه ، مكتبة رحاب، الجزائر
94. تفسير الجلالين(بهامش المصحف الشريف)،دار المعرفة،بيروت،1418هـ/1997م.
95. توفيق حسن فرج: المدخل للعلوم القانونية، الدار الجامعية، بيروت، ط:1، 1988م

96. جلبي خالص:في النقد الذاتي –ضرورة النقد الذاتي في الحركة الإسلامية- مؤسسة الرسالة،ط2، 1405هـ/1984م
97. حمدة عمر عبيد: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، دار الهدى، الجزائر
98. حمدي عبد العالي : قيم النقد في الثقافة الإسلامية ،1410هـ/1989م
99. خالد محمد خالد: خلفاء الرسول، دار ثابت، القاهرة، دار الفكر دمشق، ط:1، 1415هـ/1994م
100. دراز محمد عبد الله: دستور الأخلاق ي القرآن(دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن)، تحقيق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:6، 1405هـ/1985م
101. رشيد رضا محمد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م
102. زيدان عبد الكريم – السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية- مؤسسة الرسالة – ط:1، 1413هـ/ 1993م
103. سعيد جودت: الإنسان حين يكون كلا وحين يكون عدلا، ط:1، 1990م
104. سعيد جودت: العمل قدرة وإرادة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان
105. سعيد جودت: حتى يغيروا ما بأنفسهم،المطبعة العربية، الجزائر ،ط:1، 1410 هـ/1990م
106. طبارة عفيف عبد الفتاح: مع الأنبياء في القرآن الكريم،دار العلم للملايين، بيروت، ط:13، 1984م
107. ابن هشام: سيرة: تهذيب. عبد السلام هارون
108. عثمان محمد فتحي:حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، دار الشروق،بيروت، ط:1، 1402هـ/1982م،
109. عطية جمال الدين: النظرية العامة للشريعة الإسلامية،.
110. فضل الله محمد حسين: الحوار في القرآن(قواعده، أساليبه، معطياته)، دار المنصور للنشر، قسنطينة، الجزائر
111. قاسم شهاب صباح:علم النفس النبوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1415هـ/1995م
112. قطب سيد: في ظلال القران ،دار الشروق، القاهرة، ط:12، 1406هـ/1986م، 2340/4.
113. قطب محمد:دراسات في النفس الإنسانية ،دار الشروق، ط:1410هـ/1990
114. محمد زكي عبد البر: التصرفات والوقائع الشرعية، دار القلم ، الكويت، ط:1 ، 1402هـ/1982م
115. مسلم ، أبوالحسين بن الحجاج القشيري النيسبوري: الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1419هـ/1998م
116. يتيم محمد : العمل الإسلامي والاختيار الحضاري، منشورات حركة الإصلاح والتجديد، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1409هـ/1989م
117. يوسف الحسن عبد الله: التقويم الدعوي(رسائل العين:03)،دار البشير للثقافة والعلوم، ط:3،1419هـ/1999م

فهرس الموضوعات

مقدمة	1
الفصل التمهيدي: التغيير الإسلامي والنقد الذاتي المفاهيم والمحددات	9
المبحث الأول: مفهوم التغيير الإسلامي ومحدداته.....	10
المطلب الأول: التغيير في اللغة.....	10
المطلب الثاني: التغيير في الاصطلاح.....	13
المبحث الثاني: مفهوم النقد الذاتي.....	18
المطلب الأول: النقد في اللغة.....	18
المطلب الثاني: النقد في الاصطلاح.....	21
المبحث الثالث: محددات النقد الذاتي.....	25
المطلب الأول: موضوع النقد الذاتي.....	25
المطلب الثاني: مستويات النقد الذاتي.....	28
المطلب الثالث: جوانب النقد الذاتي.....	31
المطلب الرابع: واقع النقد الذاتي.....	34
الفصل الأول: جذرية التغيير الإسلامي وأهمية النقد الذاتي	38
المبحث الأول: العوامل الداخلية وأهميتها في التغيير.....	41
المطلب الأول: بيان ماهية العوامل الداخلية وأثرها في التغيير.....	41
المطلب الثاني: اتجاهات تأثير العوامل الداخلية في التغيير الاجتماعي.....	46
المبحث الثاني: الطبيعة الجذرية للتغيير الإسلامي.....	54
المطلب الأول: مفهوم جذرية التغيير الإسلامي.....	54
المطلب الثاني: تغيير ما بالأنفس أساس تغيير الإنسان والمجتمع.....	57
المطلب الثالث: إصلاح المجتمع أساس التمكين.....	61

المبحث الثالث: دواعي النقد الذاتي وأهميته	64
المطلب الأول: دواعي النقد الذاتي	64
المطلب الثاني: أهمية النقد الذاتي	71
المطلب الثالث: مضاعفات غياب النقد الذاتي	76
الفصل الثاني: مؤيدات النقد الذاتي	79
المبحث الأول: مؤيدات من منهج نزول القرآن الكريم	82
المطلب الأول: منهج نزول القرآن الكريم	82
المطلب الثاني: بين العقيدة والشريعة	85
المطلب الثالث: بين بناء الذات والمواجهة	88
المبحث الثاني: مؤيدات من نصوص الوحي	92
المطلب الأول: النصوص التي تدعوا إلى النقد الذاتي	92
المطلب الثاني: النصوص التي تبين دور العوامل الداخلية في التغيير	97
المبحث الثالث: مؤيدات من سيرة الأنبياء -عليهم السلام-	104
المطلب الأول: مؤيد من سيرة النبي محمد ﷺ	104
المطلب الثاني: مؤيد من سيرة الأنبياء السابقين	109
المبحث الرابع: مؤيدات من سيرة الصحابة رضي الله عنهم	111
المطلب الأول: ممارسة الصحابة للنقد الذاتي	111
المطلب الثاني: دعوة الصحابة المجتمع لممارسة النقد الذاتي	114
المبحث الخامس: مؤيدات من الفكر الإسلامي	117
المطلب الأول: محاسبة النفس	117
المطلب الثاني: التوبة والاستغفار	119
المطلب الثالث: مراتب الجهاد	121
المطلب الرابع: الجرح والتعديل	125

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: معايير النقد الذاتي وضوابطه	129
المبحث الأول: معايير النقد الذاتي.....	132
المطلب الأول: تحديد أصناف المعايير.....	132
المطلب الثاني: معايير مراجعة النية والقصد	135
المطلب الثالث: معايير مراجعة العمل.....	139
المطلب الرابع: معايير مراجعة إنجاز العمل.....	147
المبحث الثاني: آداب وضوابط النقد الذاتي.....	153
المطلب الأول: آداب وضوابط النقد الذاتي الفردي.....	153
المطلب الثاني: آداب وضوابط التلاوم الجماعي.....	171
ملخص البحث.....	186
الخاتمة.....	191
فهرس الآيات.....	194
فهرس الأحاديث.....	202
فهرس المراجع.....	206
فهرس الموضوعات.....	210

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية